سلسلة الأخلاق

للأطفال

إعداد

حامد أحمد الطاهر



سلسلة الأخلاق

للأطفال

إعداد

الأستاذ / حامد أحمد الطاهر

دار المعرفة
المغرب

الطبعة الأولى
1433 - 1434 هـ
2012 م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

احذر الغضب

تمهيد

الغضب قوةٌ فطريةٌ، غَرَزَها الله تعالى في الإنسان؛ لأنه يحتاج إليها في الدفاع عن نفسه عندما تواجهه الأخطار، وعلى الإنسان أن يهذب هذا الغضب، وينبغي ألا يكون الإنسان سريع الغضب، فيخرج عن الهدوء وحسن الخلق لأقل الأسباب، وكذلك لا يكون من الذين لا يغضبون إذا تعرضوا لأسبابٍ مغضبةٍ، كرؤية الفاحشة والمنكر، أو انتهاك المحارم، فهذا الغضب مباح، فقد كان الرسول ﷺ من أحلم الناس، ولكنه كان يغضب للحق إذا انتهكت حرماته، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما إلا أن يكون إثماً، فإن كان

إثماً كان أبعد الناس عن الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تُنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم»[١].



تعريف الغضب

الغضب لغة:

الغضبُ: أصل من مادة (غ ض ب) والتي تدل على شدةٍ وقوةٍ.

ويقال: إن الغضبة الصخرة الصلبة، ومنه اشتق الغضب؛ لأنه اشتداد السخط.

وقيل هو: استجابة لانفعال يتميز بالميل إلى الاعتداء.

والغضوب: هو الكثير الغضب والسريع الغضب، وهو للمذكر والمؤنث، وغاضب فلان فلاناً: أي أغضب كل منهما الآخر. وغَاضَبَهُ: أي خاصمه وهجره. والغَضِب: هو السريع الغضب. وغَضِبَ له: أي غَضِبَ على غيره من أجله، وذلك إذا كان حيّاً،

---

(١) أحمد.

فإن كان ميّتاً قيل: غَضِب به: أي بسببه.

الغضب في الشرع:

قال الإمام أبو حامد الغزالي: «الغضب غليان دم القلب بطلب الانتقام». وقال الإمام الجرجاني: «الغضب تغيُّر يحصل عند فوران دم القلب ليحصل عنه التشفي في الصدر».

والغضب منه محمود ومنه مذموم، فالمحمود ما كان في جانب الدين والحق، والمذموم ما كان في غير الحق، والذي يُخرج الإنسان عن حسن التصرف، ويدفعه إلى إطلاق اللسان بالسبِّ والشتم، أو اندفاع الجوارح بالضرب والتهجم.

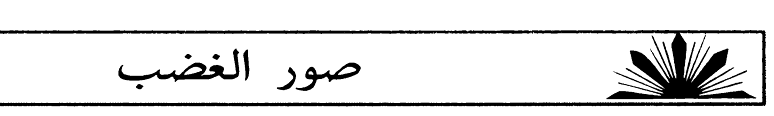
دين الحلم:

الدين الإسلامي دين الرحمة والحلم، وخلقه خلق اللين والرفق، والله تعالى حليم يحب الحلم، قال تعالى في الحديث القدسي: «**سبقت رحمتي غضبي**»[١].

وكان ﷺ يوصي بعدم الغضب وإمساك النفس

(١) مسلم.

وكظم الغيظ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني. فقال ﷺ: «**لا تغضب**»(١).



صور الغضب

تتعدد مظاهر الغضب وتختلف صوره من حالة لأخرى ومن ذلك:

1 – السباب:

قد يندفع الغاضب في سب وشتم الآخرين ردّاً لعدوانهم عليه، وتسكيناً لغضبه، وذلك شيء مذموم؛ لأن المسلم عفيف اللسان، حابس لسانه عن الفحش. قال ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**»(٢).

ويروى أن وفداً من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام (الموت) عليك يا محمد. فقال ﷺ: «**وعليكم**»، فأدركت عائشة – رضي الله عنها – قولهم، فقالت: بل السام عليكم واللعنة. فعاتبها

---

(١) البخاري. (٢) أحمد.

رسول الله ﷺ وقال: «**يا عائشة إن الله رفيق يحبُّ الرفق في الأمر كله**». فقالت: ألم تسمع ما قالوا؟ فقال ﷺ لها: «**قد قلتُ: وعليكم**»(١).

2 - الضرب والتهجم والقتل:

فالغاضب يسكنه الشيطان، ويُهوِّن عليه فعل الفواحش والمصائب.

يروى أن امرأة من اليهود جاءت إلى الرسول ﷺ بشاةٍ مسمومةٍ ليأكل منها، فعلم النبي ﷺ أنها مسمومة، فامتنع عن الطعام وأعلم أصحابه بذلك، فغضبوا، وهمُّوا بقتل المرأة، ولكن الرسول ﷺ أراد أن يُعلِّم أصحابه الحلم، فمنعهم من ذلك.

وجاءت إلى النبي ﷺ غنائم فقسمها بين المسلمين، فقال له رجل كان يدعى ذو الخويصرة: أيا محمد! قد رأيتُ ما صنعتَ في هذا اليوم. فقال النبي ﷺ: «**أجل فكيف رأيت؟**». فقال ذو الخويصرة: لم أرك عدلتَ. فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: «**ويحك إن لم يكن العدل عندي فعند مَنْ يكون؟**».

---

(١) أحمد والترمذي.

فقال عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه -: يا رسول الله ألا نقتله؟ فقال الرسول ﷺ: **«لا، دعوه، فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين، حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية»**[١].

3 – الدعاء على النفس:

كثيراً ما يثور الإنسان ويغضب، فيدعو على نفسه بالشرِّ، أو يدعو على أهله وأولاده، ويحدث هذا نتيجة شدة الغيظ الذي يضيع معه التمييز بين الشر والخير، ومن ثم يقع في هذه المعصية التي نهى الله تعالى عنها بقوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

4 – تكسير الجمادات:

قد يدفع الغضب الإنسان أحياناً إلى فعل أمور أقرب إلى الحمق والغباء، ومن ذلك: أن يحطم الإنسان الأشياء التي يستخدمها من أواني ومقاعد وأثاث، وذلك ضرر وحمق، لأنه ضياع للمال بتكسير ما ينتفع به الإنسان، وفيه أيضاً عصيان لله تعالى؛ لأن

---

(١) أحمد.

فيه طاعة للشيطان وتمادٍ في الغضب.

5 - سبُّ الدهر والأيام والحيوانات:

قد يدفع الغضب الإنسان، فيجعله يسبُّ الأيام والسنين، ويشتم ما أمامه من طير أو حيوان، والسب منهي عنه حتى لو كان لحيوان أو لجماد أو لزمان أو لمكان.

قال النبي ﷺ في الحديث القدسي: **«يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»**(١).

ونهى النبي ﷺ عن سبِّ الديك وهو حيوان لا يعقل، فقال ﷺ: **«لا تسبُّوا الديك فإنه يوقظ للصلاة»**(٢).

حكم الغضب

كل غضب يؤدي إلى حرام من بذاءة وفحش فهو محرم شرعاً، وذلك لأن منهج الإسلام أن يُحرِّمَ كل ما يؤدي إلى ما هو حرام، وذلك من باب سد الذرائع.

(١) البخاري. (٢) أبو داود.

ومن هنا فإن الغضب المذموم الذي لا يكون لله ورسوله أو ثأراً لانتهاك المحارم، فهو محرم شرعاً؛ لأنه يؤدي إلى سبٍّ أو قتل أو ضرب وتهجم على المسلم، وكل ذلك حرَّمه الله تعالى على المسلم.



التحذير من الغضب

ذم الله تعالى المشركين بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل، في الوقت الذي مدح فيه المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة والحلم، فقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

فالله تعالى حليم يحب الحلم وينهى عن الغضب، وقد أوصى الرسول ﷺ بعدم الغضب عندما جاءه رجل يطلب النصيحة، وقال: مُرني بعملٍ وأقلل. فقال ﷺ له: «**لا تغضب**»(١).

وكما نهى النبي ﷺ عن الغضب، فإنه في ذات

(١) البخاري.

الوقت عظَّم جزاء الكاظم لغضبه، فقال ﷺ: «**ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى**»(١).

وكان ﷺ مثالًا رائعاً لضبط النَّفس عند الغضب، يروى أن رجلًا جاءه وهو جالس في المسجد مع أصحابه، وقال له بغلظة: يا محمد! احملني على بعيرين فإنك لا تعطيني من مالك، ولا من مال أبيك، وشده من جلبابه حتى احمرت رقبته ﷺ، فلم يقابل الرسول ﷺ هذا الغضب والحمق بمثله بل كان حليماً، فذكر الله واستغفره ليهدأ، ثم طلب من الرجل أن يترك رقبته، ودعا رجلًا من أصحابه، وقال له: «**احمله على بعيرين: بعير شعير، وبعير تمر**»(٢).

وبيَّن النبي ﷺ قوة من يكظم غيظه ولا يغضب، فقال ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»(٣).

---

(١) ابن ماجه.

(٢) أحمد.

(٣) متفق عليه.



آثار الغضب

يؤدي الغضب إلى أضرار كثيرة، ومن ذلك:

1 – تملك الشيطان من الإنسان:

إن الذي يطيع غضبه يكون تابعاً للشيطان، قال ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان**»(١).

ومن كان تابعاً للشيطان، فسوف يخسر دنياه، ولذلك يقول إبليس: لا يعجزني ابن آدم إذا غضب: قال بما لا يعلم، وعمل بما يندم، وبخَّلته بما في يديه، ومنَّيته بما لا يقدر عليه.

ويقول الشيطان: كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئتُ لأكون في قلبه، وإذا غضب طِرتُ لأكون في رأسه.

ويحكى أن ذا القرنين لقي ملكاً من الملائكة، فقال له: علِّمني علماً أزددْ به إيماناً ويقيناً. فقال له: لا تغضب، فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فرُدَّ الغضب بالكظم، وسكِّن بالتؤدة، وإيَّاك والعجلة، فإنك إذا عجلت أخطأتَ حظَّك، وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد، ولا تكن جبَّاراً عنيداً.

---

(١) أحمد.

2 – دناءة الخلق:

لحظات الغضب تفقد الإنسان كرم خلقه، وتُخرجه عن حسن التصرف، وتفتح باب العداوة بينه وبين الناس، فيتحول الحبُّ كُرهاً، ويصير الوصالُ قطيعة، ولذلك فالغضب ليس من شيم الكرام.

كتب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف أنه غاضب على عبادة بن أسلم البكري، وأمره أن يقطع رأسه ويرسل بها إليه، فلما همَّ الحجاج أن يفعل ما أمر به عبد الملك، ودعا السيَّاف ليقطع رأس عبادة، وقف عبادة حزيناً يبكي، ويستعطف الحجاج قائلًا: أيها الأمير أنشدك الله ألا تقتلني، فإني أعول (أنفق على) أربعاً وعشرين امرأة ما لهن كاسب ولا عائل غيري. فتحرك الحلم في قلب الحجاج، ورقَّ قلبه لحال عبادة، فأرسل يستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك، فأخذه وأمر له بأموال عوناً له.

3 – كره الناس:

إذا عُرِفَ عن إنسان أنه غضوب لا يمسك نفسه عن الانقياد لغضبه، ابتعد عنه الأصحاب، وخافوا رفقته اجتناباً لغضبه.

قال الأحنف لابنه: «يا بني إن أردتَ أن تؤاخي رجلًا، فأغضبه حتى تختبره، فإن أنصفك وإلا فاحذره». وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا كنت مختصّاً لنفسك صاحباً
فمن قبل أن تلقاه بالود أغضبه
فإذا كان في حال القطيعة منصفاً
وإلا فقد جربته فتجنبه

فالحليم يَكْسَبُ حبَّ الناس، ويكون سيداً فيهم يستمعون له ويستنصحون به ويسودوه عليهم.

4 – النميمة:

قد يدفع الغضب صاحبه إلى النميمة حيث ينم مَنْ أغضبه، ويقع في عرضه، فيأثم بذلك، ويفقد حب الآخرين له.

قسَّم رسول الله ﷺ بعض الغنائم يوم حنين، فقال رجل: والله إن هذه قسمة لا عدل فيها، وما أُريد بها وجه الله. فغضب أحد الصحابة لما سمع ذلك منه، وقال له: والله لأخبرن الرسول ﷺ. فأتاه فأخبره فقال ﷺ: **«من يعدل إن لم يعدل الله ورسوله؟ رحم**

الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[١].

5 – تغيير المظهر:

من آثار الغضب تغير شكل الغاضب إلى الأسوأ، فيحمرُّ لونه، وترتعد أطرافه، وتصبح صورته سيئة تُفزِع مَنْ يراه، وتجعله يبتعد عنه، وينفر منه، وكذلك تتغير أفعاله، حيث تضطرب حركته، ويفحش كلامه، فيصير بذلك قبيح الباطن والظاهر.

قال ﷺ: «**إن الغضب جمرة توقد في القلب، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه، وحمرة عينيه، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فلينم، فإن لم يزل كذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء**»[٢].

6 – عدم الفوز بعفو الله يوم القيامة:

الذي يغضب فيندفع بالسبِّ أو الضرب أو غير ذلك، يغضب عليه الله تعالى، ويحرم نفسه من عفو الله يوم القيامة، ويحرم نفسه أيضاً من منزلة رفيعة في الجنة يتمتع فيها الكاظمون للغيظ.

قال الحسن ابن الحسن: «إذا كان يوم القيامة نادى

---

(١) البخاري. (٢) الترمذي.

منادٍ: من كان له على الله أجر فليقم. فلا يقوم إلا العافون عن الناس»، وتلا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

ولذلك أوصى رسول الله ﷺ بعدم الغضب عندما سأله أبو الدرداء - رضي الله عنه - عن عمل يدخل الجنة، فقال ﷺ: «**لا تغضب**»(١).

فكاظم الغيظ يكون من أسمى الناس منزلة يوم القيامة ويفوز بما لا يفوز به الغاضب.

وقال ﷺ: «**من كتم غيظاً وهو قادر أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره في أي الحور شاء**»(٢).

7 - التعرض لعذاب الآخرة:

السيئات التي يفعلها الإنسان وهو غاضبٌ تُنْقِص من ميزان حسناته وتقربه من أهل النار، ويُحرم من رحمة الله تعالى التي لا يتمتع بها إلا الكاظمون للغيظ، العافون عن الناس.

قال ﷺ: «**من كفَّ غضبه كفَّ الله عنه عذابه،**

---

(١) الطبراني. (٢) أحمد.

ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره، ومن حزن لسانه ستر الله عورته»(١).

8 - إفلاس من الحسنات:

فالغاضب يأتي يوم القيامة مفلساً من الحسنات. قال رسول الله ﷺ: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال ﷺ: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيام وزكاةٍ، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»(٢).



أسباب الغضب

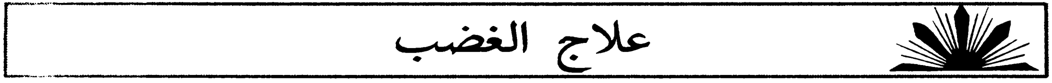
قال الإمام الغزالي مبيناً أسباب الغضب: «والأسباب المهيجة للغضب هي: الزهو والعجب والمزاح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة (العناد)

---

(١) الطبراني.

(٢) مسلم.

والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً»[١].



علاج الغضب

1 - ذكر الله تعالى:

إذا غضب الإنسان فعليه أن يذكر الله تعالى؛ لأنه بذكر الله تكون طمأنينة النفس. قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والغضب جمرة من نار، يحركها الشيطان داخل الإنسان. قال ﷺ: **«إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان»**[٢].

لذلك فقد أوصانا الله بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وعن سليمان بن صُرد - رضي الله عنه - أنه قال: استبَّ رجلان عند رسول الله ﷺ، ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسبُّ صاحبه مغضباً قد احمرَّ وجهه، فقال

(١) إحياء علوم الدين. (٢) أحمد.

النبي ﷺ: **«إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»**[١].

2 – السكوت:

إذا شعر المسلم بالغضب فعليه أن يصمت ولا يتكلم، ولا يفعل شيئاً، حتى لا يندم بعد ذلك. قال ﷺ: **«إذا غضب أحدكم فليسكت»**[٢].

وروي أن عمر - رضي الله عنه - رأى سكران، فأراد أن يأخذه ليعاقبه، فشتمه السكران، فرجع عنه عمر، فقيل له: يا أمير المؤمنين، لمَّا شتمكَ تركتهُ. قال: إنما تركتهُ لأنه أغضبني فلو عاقبته كنتُ قد انتصرتُ لنفسي، ولا أحبُّ أن أضربَ مسلماً لحمية نفسي، فانتظرتُ حتى أهدأ من غضبي ثم أتصرف.

وقال أبو ذر - رضي الله عنه - لخادمه ذات يوم: «لِمَ أرسلتَ الشاة على علف الفرس؟ فقال الخادم: أردت أن أغضبك. فأمسك أبو ذر - رضي الله عنه - نفسه، وقال للخادم: لأجمعن مع الغيظ أجراً، اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله».

---

(١) متفق عليه. (٢) أحمد.

وكتب أحد الملوك ثلاث صحف، ثم أعطى لكل رجل صحيفة، وقال للرجل الأول: إذا اشتد غضبي قم إليَّ بهذه. وقال للرجل الثاني: إذا سكن بعض غضبي أعطني هذه. وقال للرجل الثالث: إذا ذهب غضبي أعطني هذه. وكان مكتوب في الصحيفة الأولى: أقصر فما أنت وهذا الغضب إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضاً. وكان مكتوب في الصحيفة الثانية: إرحم من في الأرض يرحمك من في السماء. وكان مكتوباً في الصحيفة الثالثة: احمل عباد الله على كتاب الله فلا يصلحهم إلا ذاك.

3 – الوضوء:

الوضوء طهور، وبه يبتعد الشيطان عن الإنسان؛ لأن ماء الوضوء يطفئ نار الغضب، يقول النبي ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان، وإِن الشيطان خُلق من النار، وإنما تُطفأُ النار بالماء، فإذا غَضِب أحدكم فليتوضأ**»(١).

---

(١) أبو داود.

4 – الدعاء:

إذا شعر المسلم بالغضب قد سكنه، فعليه أن يتذكر الله تعالى، ويدعوه أن يُذهبَ عنه الغضب، ويملأه بالهدوء والسكينة، والله تعالى قريب من عباده يستجيب لدعواتهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

5 – تغيير الوضع:

أوصانا رسول الله ﷺ أن نغير الوضع عند الإحساس بالغضب، فقال ﷺ: «**إن الغضب جمرة توقد في القلب، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه، وحمرة عينيه، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس، وإن كان جالساً فلينم، فإن لم يزل كذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء**»[١].

وقال ﷺ: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم**

---

(١) الترمذي.

فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»[١].

6 – تذكر قدرة الله:

من تذكر قدرة الله، وخاف مقام ربه، فإنه سوف يطيع الله، ويرجع عن غضبه، لذلك قال أحد الحكماء: «من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته».

وقيل: مكتوب في التوراة: «يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق».

ويحكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد غضب على رجل فهمَّ بعقابه، فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين! أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي. فعفا عنه أمير المؤمنين لتذكر قدرة الله.

7 – تذكر ثواب العفو:

فالعفو والصفح لهم جزاء عظيم عند الله. قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ

---

(١) أحمد وأبو داود.

أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وسبب نزول هذه الآية أن أبا بكر - رضي الله عنه - كان ينفق على ابن خالته مسطح بن أثاثة؛ ليُتْمِهِ فلما تحدث مسطح في حادثة الإفك، غضب عليه أبو بكر، وقطع عنه ما كان يعطيه، فاعتذر له مسطح، ولكن أبا بكر لم يقبل اعتذاره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. ففرح أبو بكر بقول الله تعالى، وقال: بلى يا رب لقد تجاوزت وصفحت. وعاد إلى مسطح فأعطاه ما كان يعطيه.

8 - التخلُّق بالحلم:

من علاج الغضب التخلق بالحلم والرفق بالجاهل، لضعف إدراكه وقلة علمه. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - لرجل أسمعه كلاماً

أغضبه: «يا هذا لا تغرقن في سبِّي، فإنا لا نكافأ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه».

ودخل رجل على أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - قال له: والله ما تعطينا الجزل (العطاء الكثير)، ولا تحكم فينا بالعدل. فغضب عمر حتى همَّ أن يضربه، فقال له أحد الجالسين: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وإن هذا من الجاهلين. فما جاوزها عمر حين تلاها، فقد كان عمر ممتثلاً لحدود الله.

9 – قبول الاعتذار:

غضب أمير المؤمنين هارون الرشيد على رجل كان يُدعى حميد الطوسي، فدعا له السيَّاف ليقتله، فبكى حميد وأخذ يعتذر ثم قال له: مولاي لا أبكي خوفاً من الموت، وإنما أبكي لأني سأموت وأنت غاضبٌ عليَّ. فضحك أمير المؤمنين هارون، وقبلَ عذره، وعفا عنه، ثم قال للرجل: إن الكريم إذا خادعته انخدع.



وصايا

١ - لا تغضب؛ لأنه إذا عرف عنك أنك غضوب، استخف الناس بك ولم يهتموا بما تفعله.

٢ - تذكر عفو الله عنك، فاعفُ عن الناس. قال رجاء بن حيوة لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان: «أعطاك الله ما تحب من النصر فأعطِ الله ما يحب من العفو».

٣ - لا تجعل الغضب يدفعك إلى الانحياز عن الحق، بل كن منصفاً حتى وإن كنت غاضباً، وتذكر الحكمة: إياك وعزة الغضب فإنها تفضي إلى ذل الاعتذار.

٤ - لا تخالط إلا أهل الحلم، وتذكر قول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: «انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذ لم يغضب، وما علمك بأمانته إذ لم يطمع».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

احذر الجهل

تمهيد

الإسلام دين العلم، وقد بدأت رسالة الإسلام بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

والقراءة دعوة للعلم، والعلم فريضة على كل مسلم، فقال ﷺ: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**(١).

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تدعو إلى التعلم، وتبين فضل أهل العلم، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وللعلم وأهله ميزات عظيمة، لأنهم يعلمون عظمة الله، ويعلمون كيفية عبادة الله على أكمل وجه.

وفي الوقت الذي دعا فيه الإسلام إلى العلم، فقد

---

(١) الطبراني.

حذَّر من الجاهل والجهلاء، فقال عز من قائل: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقد استعاذ رسول الله ﷺ من الجهل، فكان إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله، توكلت على الله، اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نُزل أو نظلم أو نُظلم أو نجهل أو يُجهل علينا**»[١].



تعريف الجهل

أولاً: الجهل في اللغة:

الجهل عدم المعرفة، أو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه. وجهل بالشيء: لم يعرفه. وجهل فلان على غيره: كان جافّاً معه أو أغلظ عليه. وجهل بالحق: أضاعه ولم يحفظه. وتجاهل: أي أظهر الجهل من نفسه. واستجهله: عدَّه جاهلًا واستخف به. والتجهيل: أن تنسب إنساناً إلى الجهل. والجهالة: أن تفعل فعلًا بغير علم. والمجهلة: ما يحمل الإنسان على الجهل. والجاهلية: زمن الفترة بين رسولين،

(١) الترمذي.

وفي الحديث: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»[١]

أي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، من الكبر والتجبّر، ومن الجهل بالله سبحانه، وبشرائع دينه.

وقد يختلط على الذهن الفرق بين الجهل والأمية، ولذلك يحسن بنا أن نعرف الفرق بينهما، كل على حدة حتى يزول أي لبس أو خلط بينهما.

الجهل والأمية

الجهل هو عدم المعرفة، وهو ضد العلم، والجاهل من يعتقد شيئاً ويظن أنه صواب، ولكن الصواب على خلافه، وليس الجهل يعني أن يكون الإنسان لا يقرأ ولا يكتب، وإنما قد يكون الجاهل على علم بالقراءة والكتابة، ولكنه جاهل بشيء ما، فيتكلم بما لا يعرف، ويعتقد أنه على صواب، بينما يكون على خطأ.

---

(١) البخاري.



الخليفة العالم

كان هارون الرشيد الخليفة العباسي يتحاشى أن يتكلم بما لا يعرف ولا يرضاه على نفسه، فقد روي أنه دخل عليه يوماً الأصمعي - عالم اللغة والأدب - وكان الأصمعي قد غاب عنه فترة طويلة، فسأله الرشيد: يا أصمعي، كيف كنتَ بعدي؟ فقال الأصمعي: ما لاقتني بعدك أرض. فتبسَّم الرشيد ولم يرد، فلما خرج الناس قال الرشيد للأصمعي: ما معنى قولك: (ما لاقتني أرض)؟ فقال الأصمعي: ما استقرت بي أرض، كما يقال: فلان لا يليق شيئاً، أي لا يستقر معه شيء. فقال الرشيد: هذا حسن، ولكن لا ينبغي أن تكلمني بين يدي الناس إلا بما أفهمه، فإذا خلوتَ بي فعلِّمني، فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالماً، فإما أن أسكت فيعلم الناس أني لا أفهم إذا لم أجب، وإما أن أجيب بغير الجواب، فيعلم من حولي أني لم أفهم ما قلتَ، وأكون جاهلًا. فقال الأصمعي: علمني الرشيد هذا اليوم أكثر مما علمته.

وهكذا يكون التحدث بما لا يعلم السامع أو المتلقي جهلًا مذموماً لا يرتضيه من يحرص على

العلم، ولا يجب أن يستمر فيه من يريد أن يكون ذا مكانة بين الناس.



الأمية

الأمية هي عدم معرفة القراءة أو الكتابة، وهي نسبة إلى الأم، لأن الكتابة مكتسبة، والأمي يكون على ما ولدته أمه من عدم المعرفة بالكتابة والقراءة، وقد يكون الأمي على علم، ولكن علمه يكون مأخوذاً بطريق المشافهة، أو بالتلقين والاستماع، كما كان النبي ﷺ يتلقى وحي السماء بواسطة جبريل - عليه السلام -، وهذا النبي الأمي هو الذي علَّم أمته الكثير من العلوم النافعة، والكثير من الآداب السامية، وإن كان ذلك من معجزات النبي ﷺ، فإن العصر الحديث مليء بالأمثلة التي فيها أميّون، ولكنهم على قدر من العلم بالتلقين والمشافهة، دون قراءة أو كتابة، ولا يمكن أن نعدّ الأمية عيباً إلا إذا كان معها جهل وعدم إدراك وعدم رغبة.



الجهل في الشرع

هو أن يجهل الإنسان علوم دينه، التي لا يصح إسلامه إلا بها، ولا يعذر بجهلها، بل يعاقب إذا جهلها عقاباً شديداً في الآخرة، لأنه فرَّط في أمر دينه الذي هو أهم شيء له في الدنيا والآخرة.



صور الجهل

الجهل نوعان: جهل بسيط، وجهل مركَّب، وتحت هذين النوعين يندرج العديد من الصور.

أولاً: الجهل البسيط:

هو عدم المعرفة بالشيء، وهو جهل ليس فيه الكثير من الضرر؛ لأنه يقع على صاحبه فقط، ولا يضر للآخرين، ويمكن أن نستخرج من هذا النوع عدة صور، منها:

1 – الجهل بعلم من العلوم:

وهذا لا يعتبر عيباً، خاصة في عصرنا الحديث عصر التخصص العلمي، وليس على الإنسان في هذا

العصر أن يتقن كل العلوم، وإنما عليه أن يتقن علماً واحداً إتقاناً تامّاً، ثم يعرف بعض المعلومات عن باقي العلوم، وهو ما قاله قديماً أحد الحكماء: «تعلَّم كل شيء عن شيء، وتعلَّم شيئاً واحداً عن كل شيء». فالإنسان لا يستطيع أن يكون طبيباً ومهندساً ومحاميّاً، وغير ذلك من المهن التي تتطلب دراسة متخصصة، فإذا جهل الإنسان هذه العلوم، ولكنه أتقن علماً واحداً وبرع فيه، فإنه بذلك لا يكون جاهلاً بالمعنى القبيح لهذه الكلمة، ولكنه الجهل الذي لا مفرَّ منه.

2 – الجهل الذي يمثل عدم الخبرة:

وهذا ما ذكره القرآن الكريم حين تحدث عن المتعففين عن سؤال الناس، فقال عز وجل: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فالجاهل هنا غير مذموم، ولكنه عديم الخبرة والمعرفة بحال هؤلاء المساكين، فهم يخفون حالهم عن الناس، ولا يسألون الناس إلحافاً، وإنما يعز عليهم أن يرفعوا أيديهم لسؤال الناس، ولا يفطن لحالهم إلا من كان قريباً منهم.

3 – الجهل بشيء لا يفيد:

ومثل هذا ما يجهل الغريب من الأحداث، أو الأقوال، أو الأفعال المنتشرة في البلاد، أو الجهل بشخصيات لا تنفعه ولا يضره جهلها، أو الجهل بتاريخ إحدى الأمم، وغير ذلك من الأشياء التي لا تفيد كثيراً إذا علمها الإنسان، كأخبار الفنانين أو المشاهير التي لا تفيد إذا علمها الإنسان، ولا تضره إذا جهلها.

ثانياً: الجهل المركب:

وهو الاعتقاد الجازم بما لا يتفق مع الواقع، فالجاهل هنا لا يكتفي بجهله، وإنما يتمادى، فيذكر أنه على حق، وغيره على خطأ، رغم أنه لا يعلم شيئاً.

وهذا النوع تندرج تحته أنواع كثيرة، وهو ضار جدّاً على صاحبه، وعلى من حوله؛ لأن فيه خطر نشر علم خاطىء أو معلومة مشوهة. ومن أمثلة ذلك:

1 – الجهل بالله:

وهو يُعتبر مرادفاً للكفر، ومن أجله أرسل الله

الرسل، ليعلموا الناس أن الله واحد، ليس له شريك ولا ولد، ويبتعدوا عن عبادة الأوثان، وهذا ما نلاحظه في دعوة معظم الرسل لقومهم، عندما يجادلونهم في الإيمان بالله، فيذكر الله سبحانه على لسان رسله ومن يجادلونهم: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]. ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

فهؤلاء الجاهلون لا يريدون الإيمان بالله، ويجهلون قدر الله، ويزعمون أنهم على صواب، بل يتحمسون لرأيهم الخاطئ ويدعون إليه، وهو دليل على جهلهم المركب، والذي يبعدهم عن الإيمان بالله العلي العظيم.

2 – الجهل بالدين:

وهذا الجهل من أبشع الصور، فإنه لا يصح عبادة إنسان إلا إذا كان يؤدي هذه العبادة على علم، ولا يسمى المسلم مسلماً إلا إذا كان عالماً بفرائض الدين وشرائعه، حتى يكون عبادته صحيحة.

ولأن أصل الدين الفقه أو العلم، فلا يعقل أن يكون الجاهل منتسباً للدين الذي يجهله، فلا يمكن

مثلًا أن نقول على رجل يجهل الطب إنه طبيب، وكذلك لا يمكن أن نقول لرجل يجهل الإسلام والإيمان إنه مسلم أو مؤمن، فكل إنسان يكون إسلامه وإيمانه بقدر علمه، فإذا كان عالماً عارفاً بدينه، فنصيبه بقدر علمه، وإن جهل فنصيبه من الإسلام هو الاسم فقط.

3 - الجهل بالعلم:

الإنسان عدو ما يجهل، فإذا جهل علماً كرهه وعاداه، ولا يحب أهله، وهؤلاء يصدق فيهم قول الشاعر:

جهلت فعاديت العلوم وأهلها
كذاك يعادي العلم من هو جاهله

والجاهل بالعلم يكون قلبه كالقبر، مظلم موحش، لا شيء ينيره، ومن يجهل يعش في ظلام، كأنه في قبر، حتى وإن كان في أشد النعيم، فهو كما قال الشاعر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
فأجسامهم قبل القبور قبور

4 - جهل الجحود والإنكار:

إن هذه الصورة من الجهل يختص بها كبار الكافرين، من أمثال فرعون، والنمرود، وأبي جهل، وعتاة المشركين، فهم يعلمون الحق، ويتجاهلونه، ويدعون إلى الباطل، ويريدون أن يصدقهم الناس في زعمهم.



الجهال

روي أن أبا جهل جاء يستمع إلى قراءة النبي ﷺ في الليل، هو وأبو سفيان بن حرب، والأخنس بن شريق، ولا يشعر أحد منهم بالآخر، فاستمعوا حتى الصباح، فلما طلع الصبح تفرقوا، فتلاقوا في الطريق، فقال كل منهم للآخر: ما جاء بك؟ فذكر كل واحد منهم ما جاء به، ثم تعاهدوا ألا يعودوا لمثل ذلك، حتى لا يعلم شباب قريش بذلك، فيفتتنوا، ولكنهم عادوا مرة ثانية وثالثة، وكانوا في كل مرة يلوم بعضهم بعضاً على هذا الفعل، وفي اليوم التالي ذهب الأخنس إلى أبي سفيان فقال له: أخبرني عن رأيك فيما سمعتَ عن محمد. فقال: والله لقد سمعتُ أشياء أعرفها، وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفتُ معناها،

ولا ما يراد بها. فقال الأخنس: وأنا كذلك. ثم ذهب الأخنس إلى أبي جهل، فدخل عليه، وسأله عن رأيه فيما سمع، فقال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، حتى إذا تجانبنا وكنا كفرسي رهان قالوا: منَّا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء. فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه. فقام الأخنس وتركه(١).

وهكذا كان جهل الجحود والنكران من زعيم الكفر، الذي استحق أن يُلقَّب «بأبي جهل»، لأنه جاهل معاند، يتكبر على الحق رغم علمه به، ويتزعم العداوة ضده، وهو يعلم مقدار خطئه، ويعلم صواب ما عليه محمد ﷺ من النبوة ودعوة الحق.

5 – جهل القسوة والغلظة:

وهو الجهل الذي ضد الحلم، وهذه صورة من الجهل تُعْمي القلوب، وتغرس فيها العداوة، وهذا الجهل هو ما وقع فيه إخوة يوسف - عليه السلام -، فعندما فكروا في التخلص منه، فقال لهم بعدما نصره الله وأعزه: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

---

(١) البيهقي.

وهذا الجهل نفسه هو الذي يقول عنه سبحانه وتعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. فهم لا يتصدون للجهل بالجهل، وإنما بالقول الحسن، وليس أحسن من السلام، فبذلك استحقوا مدح الله لهم، واستحقوا حسن الجزاء الذي أعده الله لهم.



الناس والجهل

قسم العلماء الناس في الجهل إلى أربعة أقسام وهي:

١ - من الناس من لا يعتقد اعتقاداً صالحاً ولا طالحاً، فإرشاد هذا سهل، فهو كالأرض البيضاء، لم يُلقَ فيها بذر، وعادة ما يصفه الناس بقولهم: سليم الصدر.

٢ - ومن الناس من يعتقد رأياً فاسداً، ولكنه لم ينشأ عليه، ولم يَترَبَّ به، فإرشاد هذا الصنف من الناس سهل أيضاً، ولكنه أصعب من النوع الأول، فهو مثل الأرض تحتاج إلى تنظيف، وعادة ما يصف الناس مثل هذا الرجل بقولهم: غاوٍ ضال.

٣ - ومن الناس من يعتقد رأياً فاسداً، وقد ران على قلبه، فظن أنه صحيح الرأي، فركن إليه لجهله، وقد وصف الله تعالى أمثال هؤلاء بقوله: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

فهذا داء أعيا الأطباء، فلا سبيل إلى تنبهه وتهذيبه، كما قيل لحكيم يعظ شيخاً جاهلاً: ما تصنع؟ فقال الحكيم: أغسل مسحاً لعله يبيض.

٤ - ومن الناس من يعتقد اعتقاداً فاسداً، ويدافع عنه، ويجادل بالباطل ليدحض به الحق، ويذم أهل العلم، ليكسب إعجاب الناس، ويقال لمثل هذا الصنف من الناس: منافق، وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥].



حكم الجهل

إن الجهل في الشرع ليس مذموماً كله، بل هو

أحياناً معصية، وأحياناً طاعة!! ويتوقف ذلك على نوع العلم الذي يجهله الإنسان، فالعلم في الإسلام على أنواع ثلاثة: علم ديني، وعلم دنيوي، وعلم التنجيم والسحر.

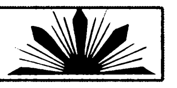


الجهل بالعلم الديني

إن الجهل بالعلم الديني أو بعلوم الشرع والإسلام يعتبر معصية، فلا ينبغي أن يكون الإنسان مسلماً وهو جاهل بالإسلام، أو بما يجب عليه من فرائض وواجبات.

فهذه الأمور لا يُعذر الجاهل بها، بل يحاسب الإنسان على التقصير في تعلمها، فلا يمكن مثلًا أن يجهل الإنسان قواعد الإسلام من شهادة وصلاة وصيام وزكاة وحج، وما يتعلق بها، وكذلك لا يعذر الإنسان إذا جهل وحدانية الله، والاعتقاد الكامل بأنه ليس كمثله شيء، وأنه منزه عن كل نقص، وكذلك يكون عاصياً من جهل المحرمات كالزنى والخمر والربا وأكل الميتة ولحم الخنزير، وتحريم الأنجاس، وتحريم زواج المحرمات، وما كان مثل هذا مما جاء فيه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فمن جهل هذه الأمور يكون عاصياً

لله، وعاصياً لرسوله وجاهلاً بالإسلام، الذي جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم، ومنْ قصَّر فيها يعاقبه الله على تقصيره، ولا يعذر بجهله بها، بل إن هذا العذر يكون أقبح من الذنب نفسه.



الجهل الممدوح

لقد حرَّم الإسلام السحر، وأمر الناس بعدم تعلّمه، ومن تعلَّم هذا العلم وقع في معصية الله، ومن هنا كان الجاهل بهذا العلم مطيعاً لله، ومنفذاً لأوامره، فإن السحر فتنة، وقد عمل الإسلام على القضاء على السحر وفتنة السحرة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

وقد نص الإسلام على قتل من يمارس السحر، حتى لا تنتشر الفتنة بين الناس، قال عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه -: «اقتلوا كل ساحر»(١). هكذا نرى أن من جهل هذا العلم وابتعد عنه فهو في طاعة الله.

---

(١) البخاري.



العلم المباح

أما العلم الدنيوي النافع، فلا شيء في تعلمه ولا حرج، لأن فيه منفعة الفرد، فيتعلم كل إنسان حسب حاجته من هذا العلم، وكل فرد يأخذ من هذا العلم ما ينفعه في دنياه، ليكسب عيشه، ويعيش حياة كريمة، فيتعلم الطب أو الهندسة، أو يتعلم حرفة، فلا نقول لمن يجهل الطب إنه عاصٍ وإنما عليه أن يتعلم شيئاً ينفعه في حياته ليكون عضواً نافعاً للمجتمع بأي علم يعلمه، أو بأي حرفة يتقنها.



آثار الجهل

إن آثار الجهل سيئة، سواء في الدنيا أو الآخرة، وهذه الآثار لا تكون سيئة وضارة بصاحبها فقط، بل ضررها يقع أيضاً على من حوله، فالجهل كالمرض الذي ينتشر ضرره، فلا يؤذي المريض فقط، بل يصيب بالعدوى المحيطين به، فلا يترك أحداً إلا وقد أصابه أذى منه.

أولاً: أثر الجهل على صاحبه في الدنيا:

إن الجاهل عدو نفسه، لأنه يجلب على نفسه الضرر بجهله، ولا ينفعه مع الجهل شيء، وكما قال أحد الحكماء: «الجهل أضرّ عدو». وهذه العداوة ناتجة عن كثرة ما يصيب الجاهل من خطئه، وكثرة ما يوقعه فيه خطؤه من متاعب جمة؛ فلا يتكلم الجاهل بكلام إلا وفيه زلة، أو فيه ضرر عليه ومذلة، ولذلك قال الإمام علي ابن أبي طالب: «قلب الجاهل وراء لسانه، ولسان العاقل وراء قلبه». فهو لا ينطق بشيء إلا وهو معتقد بصحة ما يقول وينطق، دون تفكير ولا صبر، فيزلّ لسانه بما هو شر عليه، وكفى بالمرء شرّاً أن يجهل ما يقول.

وقد حذر رسول الله ﷺ من اللسان وأخطائه، وما يجلب على صاحبه من شؤم وعذاب، ودائماً ما كان يوصي فيقول: **«أمسك عليك لسانك»**(١).

فاللسان قد يضيّع صاحبه، وخاصة إذا كان صاحبه جاهلًا لا يدري ما يقول ولا يعقل ما يتفوه به، فقد تكون كلمة واحدة سبباً في الهلاك، سواء كان ذلك

(١) الترمذي في الزهد.

هلاكاً في الدنيا بارتكاب أخطاء تؤدي إلى ضياع منفعة أو جلب ضرر على صاحبه، أو هلاكاً دينيّاً بارتكاب معصية أو ذنب يعرِّض صاحبه لعقاب الله عز وجل، ومن لم يكن له نور في قلبه فهو يتخبط في ظلمات الجهل، ويقع في كل خطأ، وإذا كان العقل يمنع الإنسان من الإقدام على الشهوات كما يمنع العقال - الرباط - الجمل من الشرود والجري، فإن الجهل يؤدي إلى الانغماس في الشهوات، والبعد عن الحق، واتباع طريق الشيطان.

وقد حكي أن الأصمعي - عالم الأدب واللغة - قال: سألتُ غلاماً من أولاد العرب كان يحادثني، فأمتعني بفصاحته: أيسرّك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق جاهل؟ قال الغلام: لا والله. قال الأصمعي: ولِمَ؟ قال الغلام: أخاف أن يجني عليَّ حمقي وجهلي جناية تذهب بمالي، ولا يبقى لي سوى جهلي وحمقي.

وقد قال الشاعر:

العلم يرفع بيتاً لا عماد له
والجهل يهدم بيت المجد والشرف

ثانياً: أثر الجهل على الآخرين:

إن الجاهل شرٌّ على من حوله، وقديماً قال أحد الحكماء: «عدو عاقل خير من صديق جاهل». فإن عدوك تستعد لعداوته وضرره وشره، فلا يصيبك منه مكروه إلا وقد أخذت حذرك منه، أما الصديق الجاهل، فإن شره يأتي من حيث لا يتوقع الصديق، فيكون شرُّه أكثر أثراً، ولهذا يكون الجاهل مكروهاً منبوذاً في المجتمع، لا يحب أحد مصاحبته، ولا يريد أحد مصادقته إلا من كان مثله.

وقد سُئل أحد الحكماء عن الجاهل فقال: «إن الجاهل ضال مضل، إن أونس - تقرب إليه أحد - تكبّر، وإن أوحش - ابتعد عنه الناس - تكدّر، وإن طلب منه أحد الكلام تخلَّف، وإن تُرِك ولم يطلب منه تكلَّف، مجالسته حقارة، ومعاتبته محنة، ومحاورته تغرّ، ومصاحبته تضرُّ، ومقاربته عمى، ومقارنته شقاء».

ولا شيء يوضح مدى سوء الجاهل ومصاحبته من هذا الكلام، فالناس تهرب منه، حتى إن ملوك الفُرس كانوا إذا غضبوا على عالم أو عاقل حبسوه في سجن واحد مع جاهل، حتى يعاني من صحبته.

وقد روي عن النبي ﷺ أن آخر الزمان سيكون أسوأ الأزمنة، وشر العصور، لأن في ذلك الزمان لن

يوجد علماء ينفعون الناس بعلمهم، ولكن سيصبح الجُهَّال هم المسيطرون، يقول ﷺ: «**إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل**»(١).

ويقول ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً** (ينتزعه من الناس) **ولكن يقبض العلم بقبض** (بموت) **العلماء حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوساً جُهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا**»(٢).

ثالثاً: أثر الجهل في الآخرة:

إذا كان أثر الجهل في الدنيا سيئاً، فإنه في الآخرة أشد سوءاً؛ فقد يتحدث الرجل بكلام عن جهل يضر به من حيث لا يدري، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - حين سأله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال له ﷺ: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا من حصائد ألسنتهم**»(٣).

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الرجل**

---

(١) البخاري.

(٢) البخاري ومسلم.

(٣) الترمذي.

ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار»(١).

وما أكثر ما يتكلم الجاهل بكلام لا يلقي له بالًا، فيُقضى عليه بأن يُسحب على وجهه في النار، وعذاب الجاهل في الآخرة يكون بسبب تفريطه في تعلم ما يجب عليه تعلمه، مما يكون سبباً في نجاته من النار، ولا عذر له على هذا التفريط في الآخرة، كما قال الجاهلون - مما حكاه القرآن - : ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

ولو حاول الجاهل مجاهدة جهله والقضاء عليه باكتساب العلم لكان في ذلك نجاته.



التحذير من الجهل

أولاً: تحذير القرآن من الجهل:

حذر القرآن من الجهل وأهله، وحذر من مصاحبة الجاهلين، قال سبحانه آمراً رسوله ﷺ بالبعد عن الجاهلين: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

---

(١) الترمذي.

ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وذلك يكون باحتمال ظلمهم وعدم التمادي معهم في الجدال، حتى لا يصيبه جهلهم بجهالة الغضب.

وكما أمر الله رسوله بالإعراض عن الجاهلين، فقد وصف عباده الصالحين بقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

فهم يصونون ألسنتهم عن مخاطبة الجاهلين، بل يقولون سلاماً وخيراً، ولا يغريهم الجهل بالجهل، وإنما يدفعهم الجهل إلى الحلم وقول المعروف. والجهل صفة الكافرين، ولذلك ذكر القرآن جدالهم لأنبيائهم، وأوضح مدى جهل الكافرين، حتى لا يقع فيه أحد، فقال: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

فالكفر جهل، فاحذر أن تستمع لجاهلٍ، فربما يأمرك بما يبغض الله.

ثانياً: تحذير الرسول ﷺ من الجهل:

حذَّر النبي ﷺ من الجهل وأهله، وحذر من كل ما يؤدي إليه من قول أو عمل، وكان النبيِ ﷺ يوصي

أصحابه بالبعد عن الجهل، فيقول: «**إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن جهل عليه أحد فليقل: إني صائم**»(١).

فالنبي ﷺ لا يريد للمسلم الغضب الذي يؤدي إلى الجهل في الكلام، وإلى معصية الله، فيفسد الصوم بجهله ومعصيته، وحذر النبي ﷺ من الجدال والمراء حتى لا يؤدي إلى الجهل، فقال ﷺ: «**إياكم والمراء** - الجدال - **فإنها ساعة جهل العالم**»(٢).

كما حذر النبي ﷺ مما يؤدي إلى الجهل، حتى وإن كان الإنسان عالماً، فكان يقول: «**كفى بالمرء جهلًا أن يُعجب بعمله**»(٣).

وكان ﷺ دائماً ما يستعيذ من الجهل، فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك أن أجهل أو يجهل عليَّ**»(٤).



العلاج من الجهل

إن الجهل - كما رأينا - شديد القبح، ويدعو إلى النفور والابتعاد عن صاحبه، ولكن إلى أي حد يجب

---

(١) متفق عليه. (٤) متفق عليه.

(٢) و(٣) الدلمي.

الابتعاد؟ هل نبتعد عن الجاهل ولا نجالسه حتى يزداد جهلًا؟ أم نجالسه للقضاء على جهله ونحاول إخراجه من ظلمات الجهل إلى نور العلم؟

إن الجهل كالمرض، وإذا تُرِك المرض فإنه سيقضي على صاحبه، بل وسينتقل المرض منه إلى غيره، فيقضي عليه أيضاً، ولذا يجب علينا أن نقاوم هذا المرض، لنتخلص منه، ونعالجه حتى لا يصبح خطراً يهدد ويقتل الكثير.

ولكن كيف تكون المقاومة؟ وكيف يكون العلاج؟ إن علاج الجهل يكون بضده؛ بمعنى أن الجهل يعني عدم المعرفة، ولذلك يجب القضاء عليه بالمعرفة، وكما قال الشاعر:

وداوني بالتي كانت هي الداء

فالمداواة تكون بالعلم، ومع العلم خطوات وقواعد يمكن اعتبارها أساساً لعلاج الجهل، منها:

1 - الحرص على العلم:

قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[١].

---

(١) الطبراني.

ولذا كان واجباً على كل مسلم أن يتعلم، ولا يدع طلب العلم مهما كانت سنه، فإن الحرص على العلم من سمات التقدم، وقد شغف العرب المسلمون - قديماً - بالعلم شغفاً كبيراً، حتى إن الخليفة المأمون عند توقيع الهدنة مع الروم، اشترط عليهم أن يسلموا للمسلمين مكتبة عينها لهم، تضم مؤلفات كثيرة، واهتم المسلمون بإحضار مجموعات من الكتب من كل البلاد، وترجموا ما فيها، وأضافوا إليها حتى أصبحت بغداد قبلة لطلاب العلم من كل مكان في العالم، وكان نتيجة هذا الاهتمام بالعلم مزيداً من الحضارة والمدنية والرقي، وفي الوقت الذي اهتم فيه هارون الرشيد - خليفة المسلمين - وابنه المأمون بكنوز العلم، كان معاصروهم من ملوك أوروبا يتعثرون في القراءة، وفي كتابة أسمائهم، فلا ينفع جاه ولا مال مع الجهل، وإنما العلم هو الذي يجلب المال، ويجلب الفخر والعزة في الدنيا والآخرة.

2 - التواضع للعلم:

يقول الله سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقال أيضاً في كتابه العزيز: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]. فيجب أن يتواضع الإنسان مهما نال من العلم ووصل إلى أعلى درجاته، فقد صح أن رسول الله ﷺ قال: «**منهومان لا يشبعان: منهوم في علم لا يشبع، ومنهوم في دنيا لا يشبع**»(١).

3 - حب العلم والعلماء:

حب العلماء يجعل الإنسان يجلس ويستمع إليهم، وإذا استمع إليهم فإنه سوف يأخذ من علمهم، وبالتالي سيزول عنه جهله، وبحب العلم والعلماء ينتهي الجهل، فإن الإنسان عدو ما يجهله، وإن كان الإنسان يحب شيئاً فإنه لن يجهله.

وقد قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: «اغْدُ عالماً أو متعلماً، ولا تَغْدُ فيما بين ذلك، فإن ما بين ذلك جاهل، وإن الملائكة تبسط أجنحتها للرجل غَدَا يبتغي العلم من الرضا بما يصنع»(٢).

وكثيراً ما يكون حب التلميذ لمعلمه سبباً في تفوقه، ولذا يجب أن يكون حب العلماء وسيلة من وسائل العلاج ضد مرض الجهل اللعين.

---

(١) الحاكم. (٢) الدارمي.

4 - ذكر الله واجتناب المعاصي:

إن ذكر الله يطهر القلب، ويصفي العقل، والله سبحانه واهب العلم، وهو الذي علَّم الإنسان ما لم يعلم، فإذا داوم الإنسان على ذكر الله ثم طلب العلم، فإن ذلك سيكون علاجاً من الجهل.

يُحكى أن الشافعي كان يشكو من سوء الحفظ، فأخبره أستاذه وكيع ابن الجراح أن يلزم ذكر الله، ويبتعد عن المعاصي، فراح الشافعي ينشد:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور
ونور الله لا يُهدى لعاصِ

5 - الصبر على العلم:

العلم يحتاج إلى الصبر، والصبر وإن كان مرّاً، فإنه في النهاية له حلاوة تقضي على مرارة الصبر، وحتى يخرج الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور العلم وحتى يتمتع بحلاوة العلم، ويتخلص من مرارة الجهل، فعليه بالصبر، وبدوام الحرص على طلب العلم، والمذاكرة والدرس، فإن من يفعل ذلك ينفعه

الله بما يتعلم، ويرفعه درجات يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

والصبر على العلم هو السبيل الوحيد لهذه الدرجات، ومن سلك غير هذه السبيل، فيريد تحصيل العلم بلا صبر ولا معاناة كان كما قال الشاعر:

ومن طلب العلوم بغير درس
سيدركها إذا شاب الغراب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

احذر البخل

تمهيد

حب المال طبع في النفوس البشرية، فالناس يتمسكون بأموالهم ويبخلون بها، ولكن البخل طبع مذموم، لا يحبه الله تعالى، ولا رسوله ﷺ، ولا يحبه الناس.

فالبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار. والبخل يزداد ويقوى مع كثرة المتطلبات والنفقات، وبسبب الخوف مما قد يحدث في المستقبل.

والبخل له آثار سيئة في الدنيا والآخرة، ويكفي أن البخل نداء الشيطان. قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ولقد حث الله تعالى المسلم على النفقة، ووعد من لا يبخل بالفوز، وبشَّره بالجنة، فقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].



تعريف البخل

البخل في اللغة:

البخل: هو الإمساك والمنع، وهو ضد الكرم والجود. والشَّح هو البخل، والشُّح (بالضم) هو البخل الشديد الذي يكون مع الحرص، فالشُّح هو أشد البخل، وهو أبلغ في المنع من البخل. والمَبخلة: الشيء الذي يحمل على البخل ويشجع عليه، ويتسبب فيه، مثل الخوف من الفقر، وجمع المال للأولاد، وغير ذلك.

البخل في الشرع:

البخيل في الشرع هو الذي يمنع ما يجب عليه، وعكسه الجواد الكريم الذي يعطي ما يجب عليه كإخراج الزكاة والنفقة الواجبة. فالبخل شرعاً: منع

الواجب، وليس البخل منع ما لا يجب، وليس الكرم الإعطاء في غير موضع العطاء.

فكل من استحق بالعطاء أجراً ومدحاً فهو الكريم الجواد، وكل من استحق بالمنع ذمّاً وعقاباً فهو البخيل، وكذلك فكل من استحق بالعطاء ذمّاً أو عقاباً فليس بكريم ولكنه مسرف، ومن لم يستحق بالمنع ذمّاً ولا عقاباً، بل استحق به مدحاً وأجراً وثواباً، فهو ليس ببخيل شرعاً، ولكنه من أهل الرشد.



أشكال البخل

للبخل أشكال كثيرة وصور عديدة، منها:

1 - البخل بالمال:

ويكون بمنع الزكاة والنفقة الواجبة، وبعدم إسعاف الآخرين عند النوائب، وبعدم إكرام الضيف. فكل هذه الأمور الواجبة يكون منعها من أشد أنواع البخل، قال النبي ﷺ: «**بريئ من الشح من أدى الزكاة، وقرى** (أكرم) **الضيف، وأعطى في النائبة**»(١).

---

(١) السيوطي.

ومن البخل في الإنفاق أن ينفق أقل مما يجب عليه، فعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت: قال لي النبي ﷺ: «**أنفقي ما استطعت ولا تُحصي فيُحصي الله عليك، ولا تُوعي فيوعي الله عليك**»(١).

ومن البخل في الإنفاق أيضاً: أن يختار المال الرديء السيء، ولذلك أمر الله تعالى المؤمنين أن ينفقوا من أفضل أموالهم وأطيبها وأنفسها عندهم، ونهاهم عن التصدق بحثالة المال ورديئه، فقال تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾** [البقرة: ٢٦٧].

ولما نزلت: **﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾** [آل عمران: ٩٢]. كان الصحابي الجليل أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالًا، وكان أحب أمواله إليه حديقة نخل أمام مسجد النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية، قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾، وإن أحب أموالي إلي بَيْرَحاء

---

(١) متفق عليه.

(حديقة النخل)، وإنها صدقة لله أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال النبي ﷺ: «**بخ (كلمة فَخْر)، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقدْ سمعتُ ما قلتَ وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**». قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[١].

2 – البخل بالجاه:

الجاه هو ما يكون للإنسان من منزلة عند غيره، يجعل الغير يلبي له رغبته من جلْبِ نفع أو دفع ضر، ويكون البخل بالجاه الامتناع عن الشفاعة والمشي مع الغير إلى سلطان أو حاكم، أو غيره ممن يكون للناس عندهم مطالب، لا يسهل لهم الحصول عليها؛ إلا بمساعدة أصحاب الجاه.

وقد رغب الله تعالى في الشفاعة الحسنة، فقال تعالى: ﴿**مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا**﴾ [النساء: ٨٥].

وكان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة، أقبل على

(١) متفق عليه.

جلسائه فقال: **«اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب»**(١).

3 - البخل بالعلم:

ويكون بكتمانه بعد تعلمه، وعدم تعليمه للغير، وأشد ما يكون البخل عند السؤال، وقد توعد الله عز وجل ورسوله ﷺ من يكتم العلم بالعذاب يوم القيامة، وباللعنة في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وقال ﷺ: **«من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»**(٢).

وكما يكون البخل بالعلم بكتمانه، يكون أيضاً بالإجابة الناقصة عن السؤال، وترك ما يحتاج إليه السائل ولم يسأل عنه، وقد كان رسول الله ﷺ يجيب السائل عما يحتاج إليه، وإن لم يسأل عنه، فقد سئل عن المتوضئ بماء البحر، فأجاب الرسول ﷺ بأن

---

(١) متفق عليه. (٢) الترمذي.

البحر ماؤه طاهر ومطهر لغيره، فيجوز منه الوضوء، وأخبر زيادة على ذلك بأن ما مات في البحر من الأسماك ونحوها حلال أكله.

4 - البخل بمنافع البدن:

منافع البدن كثيرة، وزكاتها واجبة، فمن منع منافع بدنه عن الناس فهو بخيل، ومن منعها عن نفسه كان شحيحاً أحمق، قال رسول الله ﷺ: «**كل سُلامَى** (مفصل) **من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط** (تبعد) **الأذى عن الطريق صدقة**»(١).

5 - البخل بالذكر:

وهو أقبح أنواع البخل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وكل ذكر لله تعالى صدقة، فمن تركه فهو بخيل،

---

(١) متفق عليه.

قال رسول الله ﷺ للفقراء: «**قد جعل الله لكم ما تَصَّدقون** (تتصدقون به)؛ **إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونَهيٌ عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة**»(١).

6 – البخل بالصلاة على النبي ﷺ:

وذلك إذا ذكر رسول الله ﷺ، فيجب على من ذُكر عنده أن يصلي عليه، قال ﷺ: «**البخيل من ذكرتُ عنده فلم يصلِّ عليّ**»(٢).

7 – البخل بالطعام:

ويكون بمنعه عن الجائع الذي لا يجد ما يأكله، وأشد ما يكون إذا كان الجائع جاراً وهو يعلم بجوعه، قال رسول الله ﷺ: «**ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم**»(٣). وقد حذر الله من منع الطعام عن المسكين، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣].

---

(١) مسلم. (٢) السيوطي. (٣) الطبراني.

وأشد البخل هو أن يمنع البخيل الطعام والقوت عن نفسه وأهله الذين هم تحت مسؤوليته. قال رسول الله ﷺ: **«كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته»**(١).

8 - البخل برد السلام:

من الناس من يبخل على أخيه المسلم، فلا يؤدي إليه حقوقه التي أمر الله بها عز وجل ورسوله ﷺ، ومنها إلقاء السلام ورده، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وبذل النصيحة، وزيارة المريض، واتباع الجنائز، والتعزية في المصائب، والتهنئة في المسرات، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

وقال ﷺ: **«أعجز الناس من عجز في الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام»**(٢).

9 - البخل بالحب:

والحب يكون لله تعالى ولرسوله ﷺ أولًا، ثم

---

(١) مسلم. (٢) الطبراني.

يكون أيضاً للصالحين والمؤمنين جميعاً. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[١].

10 - البخل بالرحمة:

الرحمة مطلوبة بين الناس، ومع ذلك فكثير من الناس يبخل بها. قال رسول الله ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**»[٢].

وقبَّل النبي ﷺ الحسن بن علي - رضي الله عنهما -، وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد، ما قبَّلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «**من لا يرحم لا يُرحم**»[٣].

---

(١) مسلم.

(٢) و(٣) متفق عليه.

11 - البخل في الدعاء:

ويكون بتركه. قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧]. ويعبأ أي: يبالي.

كما يكون البخل بقلة الدعاء، والبخيل به محروم من خير كثير، قال ﷺ: «**ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**». فقال رجل من القوم: إذاً نكثر (أي من الدعاء). فقال ﷺ: «**الله أكثر**»(١).

حكم البخل

البخل في الإسلام محرم، لا يحبه الله تعالى، ولا رسوله ﷺ، وقد أجمع المسلمون على حرمة البخل.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۞ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ٣٦، ٣٧]. فالبخلاء فيهم الخصال المانعة من الإحسان، وأولها البخل.

---

(١) الترمذي.

وأنكر سبحانه على البخلاء وعجب من شأنهم، فقال تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩].

يقول علي - رضي الله عنه -: «عجبت للبخيل: يعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء».

* * *



التحذير من البخل

- احذر الشجاع الأقرع:

أخبر الله سبحانه أن الذين يبخلون بما آتاهم الله من مال، سيطوقون به في رقابهم يوم القيامة، فقال عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من آتاه الله مالًا، فلم يؤد زكاته مُثِّل** (صُوِّر) **له يوم القيامة شُجاعاً** (الحية الذكر) **أقرع له زبيبتان** (نكتتان سوداوان فوق عينيه)، **يُطَوِّقه**

يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه (شِدْقَيه) ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾(١).

- إياك والكنز:

أنذر الله عز وجل الكانزين للأموال بعذاب أليم، حينما يحمى على هذه الأموال في نار جهنم، ثم يكوى بها صاحبها في كل موضع في جسده، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

والكنز هو المال الذي جمعه صاحبه ولم يؤد زكاته، قال عبد الله بن عمر: «ما أدِّي زكاته فليس بكنز، وإن كان تحت سبع أرضين، وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز، وإن كان فوق الأرض».

- جزاء الكنازين:

مر أبو ذر - رضي الله عنه - على نفر من قريش فقال: بشّر

---

(١) البخاري.

الكانزين بكيٍّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكيٍّ من قِبل (جهة) أقفائهم (مؤخرة الرأس) يخرج من جنوبهم. ثم تنحى فقعد، فجاءه رجل منهم فقال: ما هذا الذي قلتَه؟ قال: ما قلت إلا شيئاً قد سمعته من نبيهم ﷺ. قال: ما تقول في العطاء (الهبة)؟ قال: خذه فإن فيه معونة، فإن كان ثمناً لدينك فدَعه (اتركه)(١).

- وحوش مفترسة:

قال رسول الله ﷺ: «... **ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة؛ بُطح لها بقاع** (مكان مستوٍ من الأرض) **قرقر** (أملس)، **أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلًا** (جملًا صغيراً) **واحداً، تطؤه بأخفافها وتعضّه بأفواهها، كلما مرَّ عليه أولاها رُد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار**». قيل: يا رسول الله! فالبقر والغنم؟ قال: «**ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم**

(١) مسلم.

القيامة؛ بُطح لها بقاع قرقرٍ لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها عَقْصاء (ملتوية القرن) **ولا جلحاء** (لا قرن لها) **ولا عَضْباء** (مكسورة القرن)، **تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها** (جمع ظلف، وهو الحافر)، **كلما مرَّ عليه أولاها رُد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار»**(١).

- إياك وهذا الخسران:

عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «**هم الأخسرون ورب الكعبة**». فقلت: يا رسول الله! فداك أبي وأمي من هم؟ قال: «**هم الأكثرون أموالًا، إلا من قال** (أنفق) **هكذا وهكذا** (أمامه ويمينه وشماله)، **وقليل ما هم**»(٢).

- تصدق قبل أن تُردَّ:

قال ﷺ: «**تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته، فيقول الذي أعطيها** (عرضت عليه): **لو جئتنا بها بالأمس قَبلْتُها، فأما الآن فلا حاجة لي بها. فلا يجد من يقبلها**»(٣).

(١-٣) متفق عليهم.

- إياك ومنع الفضل:

قال ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل، يقول الله له: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»**(١)



آثار البخل

للبخل آثار سيئة، وعواقب وخيمة في الدنيا والآخرة:

1 - البخل يسفك الدماء:

من أخطر آثار البخل السيئة أن الشحيح يضحي بكل شيء، حتى بالأرواح والدماء، فيقتل ليحافظ على ما عنده، أو ليحصل على ما ليس عنده.

قال ﷺ: **«اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»**(٢).

---

(١) متفق عليه. (٢) مسلم.

2 - البخل يجلب الفقر:

البخيل يمنع الغيث والخير. قال رسول الله ﷺ: «**ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين**»[١]. والسنين: جمع سنة، وهي: العام المقحط الذي لم تنبت فيه الأرض شيئاً سواء نزل المطر أو لم ينزل.

3 - البخل من المهلكات:

قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم**»[٢].

4 - البخيل محروم:

فالذي يبخل بماله أو بشيء آخر فإنه يبخل على نفسه، ويحرمها الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

5 - البخيل مُهان:

وصف الله سبحانه البخيل المانع للخير بالمهانة، فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ *

(١) الطبراني. (٢) مسلم.

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١٢]. والإهانة تكون بالبخل الذي يمنع من إعطاء اليتيم والمسكين حقهما، ويدفع إلى جمع المال من حلال أو حرام.

6 – عذاب النار:

أبشع الآثار المترتبة على البخل والشح ما يكون في الآخرة من العذاب، قال رسول الله ﷺ: **«مانع الزكاة يوم القيامة في النار»**(١).

7 – البخل من النفاق:

وصف الله سبحانه المنافقين بالبخل، وأخبر أنهم يكرهون الإنفاق في سبيل الله، ويبخلون بالمال وغيره، فقال سبحانه: ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١].

ولذلك لا يقدمون مختارين على عملية الإنفاق أبداً، وإنما ينفقون في حالة الاضطرار فقط، ولذلك فالله تعالى لا يقبل منهم نفقتهم وصدقتهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

---

(١) الطبراني.

8 - الشح ينافي الإيمان:

الشحيح ناقص الإيمان، لأنه لو كمل إيمانه لأنفق ابتغاء وجه ربه الأعلى، طاعة لأمر الله، وطمعاً في ثوابه وفضله، قال النبي ﷺ: «**لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبدٍ أبداً، ولا يجتمع شح وإيمان في قلب عبدٍ أبداً**»(١).

9 - الشح شر:

البخل شر لقول الرسول ﷺ: «**يا ابن آدم! إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف** (ما يكفي الإنسان ولا يزيد عن حاجته)، **وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى**»(٢).

وقال ﷺ: «**شر ما في الرجل: شح هالع** (مفزع)، **وجبن خالع** (يخلع قلبه من شدة الخوف)»(٣).

10 - الرسول ﷺ يرفض البخل:

قسَّم ﷺ مالًا يوماً، وأعطى بعض الناس أكثر من غيرهم، فقال له عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه -: والله يا رسول الله، غيرهم أحق منهم بهذا المال. فقال ﷺ:

---

(١) الحاكم. (٢) مسلم. (٣) أبو الدرداء.

«إِنهم خيّروني أن يسألوني بالفحش أو يتبخّلوني (يجعلوني بخيلًا)، **ولست بباخل»**[١].

11 - الاستعاذة من البخل:

كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من البخل، فيقول: **«اللهم إني أعوذ بك من البخل»**[٢].

***

علاج البخل

على البخيل أن يتذكر المعاني الآتية:

- لا ينفعك إلا صدقتك:

قال رسول الله ﷺ: **«يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت** (أي أبقيت)**»**[٣].

- إنما تبقى الصدقة:

كل مال أتى للإنسان زائل عنه، ولا يبقى له منه ما ينفعه، إلا ما جعله في سبيل الله تعالى، وأنفقه في ما يرضيه سبحانه. عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ: **«ما بقي منها؟»**.

---

(١) مسلم. (٢) البخاري. (٣) مسلم.

قالت: ما بقي منها إلا كتفها. فقال ﷺ: «**بقي كلها غير كتفها**»[١].

ومعناه: أنهم تصدقوا بها إلا كتفها، فأخبرهم ﷺ أن ثواب الشاة بقي كاملًا في الآخرة إلا كتفها.

وقال رسول الله ﷺ: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟**». قالوا: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه. فقال ﷺ: «**فإن ماله ما قدم** (تصدق به)، **ومال وارثه ما أخر** (أبقاه)»[٢].

- لا نقص مع الصدقة:

وهذا من فضل الله تعالى، حيث يدخر لك صدقتك في الآخرة ليثيبك بها بعد أن ينميها لك، كما قال النبي ﷺ: «**ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب** - ولا يقبل الله إلا الطيب - **إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فَلُوَّه** (مُهْره) **أو فَصيله** (ولد الناقة المفطوم)»[٣]. ومع ذلك فإن مالك في الدنيا لا ينقص بسبب ما تخرجه من صدقة وزكاة ونفقة.

---

(١) الترمذي. (٢) البخاري. (٣) متفق عليه.

عن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزّاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر. وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلماً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل رحمه** (أقاربه)، **ويعلم لله فيه حقّاً، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علماً، ولم يرزقه مالًا، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان، فهو ونيته، فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالًا، ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقّاً فهذا بأخبث المنازل. ورجل لم يرزقه الله مالًا ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالًا لعملت فيه بعمل فلان** (الذي يخبط في ماله)، **فهو ونيته، فوزرهما** (إثمهما) **سواء**»[١].

---

(١) الترمذي.



وصايا

- عَجِّل بالصدقة:

أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال ﷺ: «**أن تصدَّق** (تتصدق) **وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت** (الروح) **الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك** (شيخوختك)، **وصحتك قبل مرضك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك**»(٢).

- عليك بالدعاء:

الدعاء سلاح المؤمن، فالمؤمن يلجأ إلى الله تعالى في كل أمره ويسأله ويستعين به، فلندع الله أن يجنبنا ذلك الخلق المذموم، كما كان يدعو رسول الله ﷺ ويقول: «**اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك**

---

(١) متفق عليه. (٢) الترمذي.

من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمُر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر»[١].

- تخلص من أسباب البخل:

وأهمها حب المال، وطول الأمل، والخوف على الأولاد، وذلك بتقصير الأمل، وذكر الموت، ولا تخش الفقر على ولدك. قال رسول الله ﷺ: «**الولد مبخلة مجبنة مجهلة**»[٢].

واعلم أن الله تعالى خلق رزق ولدك قبل أن يولد، من وقت نفخ الروح فيه، وأن أفضل ما تورثه لولدك أدب حسن، وكم من ولد لم يرث من أبيه شيئاً، هو أحسن حالاً ممن ورث الكثير. قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

* * *

(١) البخاري.

(٢) الحاكم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

احذر الخيانة

تمهيد

الخيانة خلق ذميم، ورذيلة خسيسة، تنفر منها النفوس السليمة، وأصحاب الضمائر اليقظة، وتزداد الخيانة سوءاً إذا اقترنت بالغدر، فعندئذٍ يصبح الخائن أضل من البهيمة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۞ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٥-٥٨].

وكذلك الرسول ﷺ لا يحب الخائنين ولا أهل الغدر، قال ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين**

لمن لا عهد له»[1].

والمسلم ينبغي أن يكون حريصاً على أداء الأمانات والالتزام بالعهود والمواثيق؛ إرضاء لله تعالى، وحبّاً للخير والفضيلة، وتمسكاً بصفات الأمناء الذين يفوزون بجنة الله يوم القيامة.



تعريف الخيانة

الخيانة في اللغة:

الخيانة مأخوذة من مادة (خ و ن) التي تدل على التنقيص، يقال: خانه يخونه خوناً، أي: نقصان الوفاء، ونقيض الخيانة الأمانة، يقال: خنت فلاناً، وخنت أمانة فلان، وخان الشيء خوناً وخيانة ومخانة: نقصه، والخوّان: من كان كثير الخيانة مصرّاً عليها، والخائنة: اسم بمعنى: الخيانة.

الخيانة في الشرع:

الخيانة هي: التفريط في الأمانة أو إنقاصها بعدم

---

(١) أحمد.

أدائها كاملة. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

والخيانة: الغدر وإخفاء الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [غافر: ١٩].

والغدر والخيانة لفظان يشتركان في معنى واحد وهو: عدم الوفاء بالعهد وعدم أداء الأمانة.

صور الخيانة

تتنوع الخيانة بتنوع الأمانات والعهود، فكل نوع من الأمانة يقابله نوع من الخيانة لمن لا يؤديها، وكل عهد وميثاق يقابله غدر من نوعه لمن لا يوفي بتلك العهود والمواثيق، ولذلك يقول ابن مسعود في تعدد الأمانات: «الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عددها، وأشد ذلك الودائع»(١).

ويمكن تناول أنواع الخيانة وصورها كما يلي:

---

(١) أحمد.

1 - نقض العهد:

وهذا النوع من الغدر يكون عندما يبرم إنسان عهداً مع غيره ثم ينقض هذا العهد دون إعلام الطرف الآخر، ويأتي بأفعال تتعارض مع العهد المبرم، وقد حكى الله تعالى لنا نموذجاً من هذه العهود المنقوضة لبني إسرائيل، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الزخرف: ٤٩، ٥٠].

ولذلك حذر الله تعالى نبيه ﷺ من غدر اليهود، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]. فاليهود لم يكفُّوا عن محاولة خيانة الرسول ﷺ، وكانت لهم مواقف خيانة وغدر عديدة، بل كانت هذه هي حالهم طوال إقامتهم معه في المدينة، وصدق الله القائل في حقهم: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

وقد حذرنا النبي ﷺ من نقض العهود والغدر، فقال ﷺ: «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرّاً ثم أكل ثمنه، ورجل**

استأجر أجيراً فاستوفَى منه العمل ولم يوَفِّه أجره»[١].

2 – خيانة الحديث:

وهذا النوع يأتي عندما تحدِّث أخاك المسلم بحديث كذب وهو يظن أنك تصدق له القول، فيطمئن لك، قال ﷺ: **«كبُرَت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت به كاذب»**[٢].

3 – خيانة النصيحة:

ومن هذا النوع أن يطلب منك أخوك المسلم نصيحة، فتشير إليه بأمر يحمل له الضرر. قال ﷺ يبين هذا النوع: **«من أشار إلى أخيه يعلم أن الرشد في غيره، فقد خانه»**[٣].

4 – خيانة الدعاء:

وتحدث هذه الخيانة عندما يؤم رجل قوماً فيخص نفسه بالدعاء دونهم، قال ﷺ: **«ثلاث لا يحل لأحد أن يفعلهن: لا يؤم رجل قوماً فيخص نفسه بالدعاء دونهم، فإن فعل فقد خانهم . . .»**[٤].

---

(١) البخاري. (٢) أحمد. (٣) و(٤) أبو داود.

5 - خيانة الله ورسوله:

وهذا النوع من الخيانة والغدر يحدث عندما يعاهد أحد الناس الله سبحانه وتعالى ثم ينقض هذا العهد ولا يوفي به، وقد قص الله تعالى نموذجاً من هذا النوع من الغدر، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

ومن هذا النوع من الخيانة خيانة المرأة اليهودية لرسول الله ﷺ عندما وضعت له سمّاً في الشاة، فقال ﷺ: «**هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟**». قالوا: نعم. فقال ﷺ: «**ما حملكم على ذلك؟**». قالوا: إن كنت كاذباً نستريح، وإن كنت نبيّاً لم يضرك[١].

6 - خيانة الحياة الزوجية:

وتحدث هذه الخيانة عندما يتوجه الرجل إلى المرأة بشيء يخالف ما اتفقا عليه، أو عندما يحدث في

---

(١) البخاري.

الحياة الزوجية ما يؤدي إلى فسادها، وعلى الجانب الآخر حذر النبي ﷺ الرجال من الرجوع من سفرهم ليلًا دون أن يخبروا زوجاتهم، فعن جابر - رضي الله عنه - قال: نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلًا يتخونهم أو يتلمس عثراتهم(١).

7 - خيانة التصويت في الانتخابات:

صوت الإنسان أمانة فلا يعطيه إلا لمن يستحقه ويرى فيه الشخص المناسب، أما إذا أعطى الإنسان صوته لمن لا يستحق، فقد خان أمانة التصويت في انتخاب من ينوب عنه، ويُسيِّر دَفَّة أموره، ويستحق هذا الخائن تجاوزات من انتخبه وجوره وظلمه، كذلك خيانة التصويت في الانتخابات تكون بتزويرها، والدفع بشخص آخر غير الذي انتخبه الناس من أجل مصلحة دنيوية، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

8 - خيانة العمل:

أداء العمل على الوجه الأكمل أمر ضروري،

---

(١) مسلم.

والتقصير في أدائه خيانة له، يترتب عليها مساوئ عديدة تقع على رأس العامل والعمل وصاحب العمل. وإتقان العمل علامة أو سمة للأمم المتحضرة، وقد حثنا النبي ﷺ عليه فقال: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»(١). وخيانة العمل والتقصير فيه يجعل الأجر المترتب عليه حراماً ولا فائدة فيه.

9 - خيانة الدولة:

وتكون بالتجسس عليها لمصلحة أعدائها، وتسريب الأسرار العسكرية والسياسية وغيرها، وقد ورد في السنة ما يدل على جواز قتل الجاسوس إذا كان مستأمناً أو ذمياً، قال سلمة ابن الأكوع: «أتى النبي ﷺ عين (جاسوس) وهو في سفر، فجلس عند بعض أصحابه يتحدث، ثم انسل، فقال النبي ﷺ: «**اطلبوه فاقتلوه**». فسبقتهم إليه فقتلته، فنفلني سلبه»(٢).

10 - خيانة النفس:

وخيانة النفس تكون بعصيان الله تعالى، وتعريض الإنسان نفسه لعقاب الله. ومن أمثلة هذه الخيانة: ما

(١) البيهقي. (٢) أحمد.

روي أن عدداً من الصحابة كانوا يجامعون زوجاتهم في ليالي رمضان قبل أن يرخصه الله لنا، فوصف الله تعالى فعلهم بقوله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ثم رخص الله للمؤمنين أن يجامعوا زوجاتهم في ليالي شهر رمضان، وأن يأكلوا ويشربوا حتى يطلع الفجر. قال تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

11 - خيانة الأمراء:

فالحاكم ينبغي عليه ألا يغدر أو يخون؛ لأن خيانته يتعدى ضررها إلى خلق كثير، ولأنه غير مضطر إلى الغدر. قال ﷺ: «**لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة**»(١).

ولذلك كان النبي ﷺ يوصي أمراء الجيوش ألا يغدروا، فقد روي أن النبي ﷺ كان إذا أمَّر أميراً على

---

(١) مسلم.

جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، ثم يقول: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً**»(١).

12 - خيانة العين:

وتكون بالغمز، أو النظرة التي تحمل الغدر، أو العين التي تخفي وتضمر الشر، وكل هذه العيون وكل هذه النظرات لا تخفى على الله، كما قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وكل الناس قد يقع في هذا النوع من الخيانة إلا الأنبياء، فقد روي أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد ارتد واختبأ يوم فتح مكة عند عثمان بن عفان، فجاء به عثمان حتى أوقفه أمام النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله بايع عبد الله. فرفع النبي ﷺ رأسه ونظر إليه، ورفض أن يبايعه، فلما أصر عثمان، وأعاد على النبي ﷺ ما قال، بايع النبي عبد الله ابن أبي سرح على الإسلام، ثم أقبل على الصحابة وقال لهم: «**أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففتُ يدي عن بيعته فيقتله؟**». فقالوا: ما ندري يا رسول الله

---

(١) مسلم.

ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟ فقال ﷺ: **«إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين»**(١)



حكم الخيانة

إن الخيانة من الرذائل التي حرمها الله تعالى، ونبيه ﷺ، وأجمع على حرمتها العلماء.

ومن أدلة تحريمها من القرآن قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

فقد كانت امرأة نوح - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تقول للناس: إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر قومها بضيوفه، ولذلك استحقتا من الله تعالى العقاب، وهو النار وبئس المصير.

ونهى الله تعالى عن نقض الأيمان، وهو صورة من صور الخيانة، فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ

(١) أبو داود.

عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

كما حذرنا الله من مخالفة أمره، وعدم طاعة الرسول ﷺ، وعدم أداء الأمانة، وكلها من صور الخيانة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وخيانة الله هي تعطيل فرائضه، وتعدي حدوده، وانتهاك حرماته، وخيانة الرسول ﷺ هي ترك سنته، ومخالفة أمره، وعلى كل حال فإن التخلي عن التكاليف الشرعية نوع من الخيانة لله ورسوله.

ونهى النبي ﷺ عن أن يخون المسلم أخاه المسلم، قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله**»(١). ونفى ﷺ الإيمان عن من يخون الأمانة ويغدر. قال ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»(٢).

وبشر النبي ﷺ بعدم دخول الجنة للخائن ودخوله النار. قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة بخيل ولا خِب** (المخادع الغشاش) **ولا خائن ولا سيء الملكة**»(٣).

ووصف النبي ﷺ الخائن والمخادع بأنه من أهل

---

(١) الترمذي. (٢) الطبراني. (٣) أحمد.

النار الذين ارتكبوا ما حرم الله عليهم، فقال ﷺ: «**وأهل النار خمسة...**»، وعدَّ منهم: «**والخائن الذي لا يخفي له طمع، وإن دقَّ إلا خانه**»(١).

وقد أجمع العلماء على حرمة الخيانة، وأن مرتكبها يستوجب غضب الله عليه ودخوله النار.

* * *



آثار الخيانة

للخيانة آثار وخيمة مترتبة عليها، ومن هذه الآثار:

1 - الطرد من رحمة الله:

الخائن ملعون مطرود من رحمة الله التي وسعت كل شيء، قال تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**﴾ [المائدة: ١٣].

فقد عاهد اليهود الله تعالى على ميثاق يتضمن شرطاً وجزاءً، فشرط العقد والميثاق: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان برسل الله كلهم دون تفرقة بينهم، والإنفاق من الأموال في الصدقات.

---

(١) مسلم.

وكان جزاء الله لهم على هذه الشروط: تكفير السيئات، وجنة تجري من تحتها الأنهار. قال تعالى يبين لنا هذا الميثاق: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾

[المائدة: ١٢].

ولكن اليهود بعد هذا الميثاق مع الله وبعد هذا الجزاء نقضوا العهد، وغدروا وخانوا الله تعالى ورسله، فكان عقابهم لعنة لا تفارقهم وتبدو على سيماهم، وقسوة تبدو في ملامحهم، وفي تصرفاتهم الخالية من المشاعر الإنسانية. قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ﴾

[المائدة: ١٣].

2 – الذل والهوان:

الخائن ذليل في مجتمع الأمناء، مقهور ومغلوب من أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟

ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١].

فالخائنون يشتركون مع المشركين في أنهم خانوا الله تعالى ولم يؤمنوا به واتخذوا آلهة وأنداداً له، فكان جزاؤهم تمكن المؤمنين منهم، ونصر الله تعالى للمؤمنين عليهم، وكذلك على كل من يحاول خيانة الله تعالى ورسوله والمؤمنين.

3 – الضلال والتخبط:

الخائن الذي يغدر بالآخرين بكيده يتخلَّى الله عنه، ولا يهديه إلى صراطه المستقيم. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

4 – التعزير أو القتل:

إذا كانت الخيانة من مجتمع كامل له قائد، فإن من واجب إمام المسلمين أن يحارب هذا المجتمع. قال تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢].

فالذين ينكثون عهودهم مع أهل الإيمان، ويطعنون في دين المسلمين، هم بذلك أصبحوا أئمة في الكفر،

لا أيمان لهم ولا عهود، وعندئذ يستحقون عقاب المؤمنين بالقتال حتى يرجعوا إلى الهدى، لأن هناك من لا يرجع إلى حظيرة الإيمان إلا حينما يرى قوة أهل الحق، فعندئذ يعلم أن من وراء أهل الإيمان قوة الله، فيقوده هذا إلى التوبة والهدى.

يروى أن كعب ابن الأشرف - وهو يهودي من يهود المدينة - ذهب إلى المشركين، وأخذ يمدحهم - وخاصة الذين شهدوا بدراً - وظل يهجو ويذم الرسول ﷺ ويسب نساء الصحابة في أشعاره، وأمام هذه الخيانة أمر النبي ﷺ بقتله، فقام بهذه المهمة محمد بن مسلمة وعباد بن بشر وأبو نائلة - رضي الله عنهم -، ولما علمت اليهود بمصرع طاغيتها كعب دَبَّ الرعب في قلوبهم، وعلموا أن الرسول ﷺ لن يتوانى في استخدام القوة حين يرى أن النصح لا يجدي نفعاً لمن يريد العبث بالأمن وإثارة الإضطرابات وعدم احترام المواثيق والعهود، فلم يحركوا ساكناً لقتل طاغيتهم كعب ابن الأشرف، بل لزموا الهدوء، وتظاهروا بالوفاء بالعهود.

5 - التشبه بالحيوانات:

فأهل الغدر والخيانة هم أشر الخلق، لأنهم

يكفرون بالله، ويخونون عهودهم، حتى إن الدواب أشرف منزلة وأعلى مكانة عند الله منهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦].

فالمقصود من الآية هم اليهود، وكل من فعل مثلهم، فالنبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة عقد مع اليهود معاهدة، ترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال، وكان أهم بنود هذه المعاهدة:

- أن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

- أن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

- أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

- أن النصر للمظلوم.

- أن اليهود ينفقون مع المؤمنين في نصرهم في حالة الحرب.

- ألا تجار قريشاً ولا من نصرهم.

- أن بينهم النصر على من دهم (هاجم) يثرب.

وكان النبي ﷺ حريصاً على تنفيذ هذه المعاهدة، ولم يأتِ من النبي ﷺ أو من المسلمين ما يخالف حرفاً من نصوصها، ولكن اليهود أهل الخيانة، نكثوا العهود، وأخذوا في نقض هذه المعاهدة، وتمثلت خيانتهم وغدرهم في تفريق جماعة المسلمين وانتهاك حرماتهم.

أما تفريق جماعة المسلمين فقد اجتمع ذات يوم نفر من الصحابة من الأوس والخزرج في مجلس يتحدثون فيه، فاغتاظ لذلك شيخ يهودي، وكان معه شاب فأمره أن يجلس مع الصحابة ويذكر يوم بُعاث - وهو يوم حرب كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية - وما كان فيها، ففعل ذلك الشاب، تكلم الصحابة من الأوس والخزرج وتنازعوا وتفاخروا، حتى قال أحد الصحابة للآخر: إن شئتم رددناها (يعني الحرب). وغضب الفريقان حتى هموا بجمع السلاح للقتال، فلما علم بذلك رسول الله ﷺ خرج إليهم في جماعة من المهاجرين، ثم قال لهم: «**يا معشر المسلمين! الله**

الله، أَبِدَعْوَى الجاهلية وأنا بين أَظْهُرِكُمْ، بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف بين قلوبكم؟». فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم اليهود، فتصالحوا[١].

وأما انتهاك اليهود لحرمة النساء فقد كان من خيانة اليهود أن تعرض أحدهم (من بني قينقاع) لامرأة دخلت السوق، وأراد منها أن تكشف وجهها، فأبت، فجاء رجل وعقد طرف ثوبها وهي غافلة في ظهرها، فلما قامت انكشفت عورتها، فضحك اليهود منها فصاحت المرأة، فجاء رجل مسلم فقتل اليهودي الخائن، فقتل اليهود المسلم الغيور، وعلم النبي ﷺ بغدر اليهود، وما فعلوه مع المرأة المسلمة والرجل المسلم، فحاصر ﷺ اليهود حتى أخرجهم من المدينة[٢].

6 - لا تقبل شهادته:

لا تقبل شهادة الخائن، لأن الخائن لا يجد حرجاً في الشهادة زوراً والإدعاء كذباً على طرف من

(١) سيرة ابن هشام. (٢) سيرة ابن هشام.

الأطراف، قال ﷺ: **«لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة»**(١).

7 - البلاء والضنك والفتن:

أهل الخيانة أكثر عرضة من غيرهم للفتن والبلايا، وهم أيضاً شرار الخلق الذين تنتهي بهم الحياة الدنيا، وتقوم عليهم القيامة. قال ﷺ: **«خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون»**(٢).

وحلول البلاء بالمؤمنين مقرون بالخيانة والتخلي عن أداء الأمانات، قال ﷺ: **«إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة فقد حل بها البلاء ...»**، وعدَّ من هذه الخصال: **«وإذا كانت الأمانة مغنماً»**(٣). وانتشار جرائم القتل دليل على الخيانة والغدر، قال ﷺ: **«ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم»**(٤).

8 - الفضيحة في الآخرة:

أهل الغدر والخيانة ترفع لهم راية يوم القيامة أمام

---

(١) أبو داود.
(٢) متفق عليه.
(٣) الترمذي.
(٤) الحاكم.

الناس. قال ﷺ: **«لكل غادر لواء يُنصب يوم القيامة بغدرته»**(١).

9 - العذاب في جهنم:

الخائن الذي لا يؤدي الأمانة يتعرض لعذاب الله يوم القيامة، قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة. قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله فيقال: أدِّ أمانتك. فيقول: أي رب، كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، فينطلق به إلى الهاوية (النار)، وتمثل له أمانته كهيأتها يوم دفعت إليه، فيراها فيعرفها، فيهوي في أثرها حتى يدركها، فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج نزلت عن منكبيه فهو يهوي في إثرها أبد الآبدين»(٢).

10 - الانتقام:

كثيراً ما يقع الانتقام على الخائن، والانتقام يكون في الدنيا كما يكون في الآخرة، فكم نسمع عن جرائم قتل وقعت نتيجة خيانة الزوجة لزوجها، أو الزوج

---

(١) البخاري.

(٢) أحمد.

لزوجته، أو خيانة الصديق لصديقه، أو غير ذلك من الحوادث التي تملأ الصحف اليومية، هذا فضلًا عن العذاب الموعود به كل خائن في الآخرة.

التحذير من الخيانة

الخيانة والغدر من الصفات السيئة والأخلاق الذميمة التي حذر منها الله تعالى في كتابه، كما حذر منها النبي ﷺ وأجمع الناس على قبح هاتين الرذيلتين.

أولاً: تحذير القرآن من الخيانة:

تناول القرآن الكريم في العديد من الآيات الخيانة في موضع الذم والتحذير، ومن ذلك:

* بيَّن الله تعالى أن الذي يغدر وينقض عهده وخاصة عهده مع الله بعدم فعل ما أمر الله به أو ترك ما نهى عنه، فمثل هذا الرجل ينتظر له سوء العاقبة واللعنة من الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وكذلك يعدُّ أهل الغدر والخيانة من أهل الخسران سواء كان ذلك الخسران في الدنيا أم الآخرة. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧].

* بيَّن الله تعالى أنه يكره أهل الخيانة ولا يحبهم، بل وطلب من النبي ﷺ أن يبغضهم ولا يدافع عنهم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

وقال تعالى ناهياً نبيه ﷺ عن أن يدافع عن الخائنين أو يواليهم: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

* بيَّن الله تعالى أن الذي يغدر في عهده ويخون في أداء الأمانة يضر نفسه، لأن غدره قد يعود عليه بالشر، قال تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠].

* شبَّه الله من ينقض العهد ويغدر فيه بالمرأة التي تهدم ما صنعته من الغزل بعد أن تعبت في صنعه. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].

ثانياً: تحذير الرسول ﷺ من الخيانة:

* المجتمع الإسلامي كالجسد الواحد في تماسكه وتعاون أفراده فإذا وجد في المجتمع من يحاول إفساده أو بث روح الفرقة بنقض العهود أو خيانة المسلمين فإن الله تعالى لن يقبل لهؤلاء الخائنين الذين نقضوا العهود عملًا. قال ﷺ: «**ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً** (أي: نقض عهده) **فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يَقبلُ الله منه صرفاً ولا عدلًا، ومن والى قوماً بغير إذن مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبلُ منه صرفٌ ولا عدلٌ**»(١).

* بيَّن النبي ﷺ مدى الجرم الذي يرتكبه الخائن لجاره، فقال ﷺ: «**ما من رجل من القاعدين يخلف رجلًا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من عمله ما شاء، فما ظنكم؟!**»(٢). ومعنى فما ظنكم: أي ما تظنون في رغبته في أخذ حسناته والإستكثار منها في ذلك المقام، فسوف لا يُبقى للخائن من حسناته شيئاً إن أمكنه ذلك.

---

(١) البخاري. (٢) مسلم.

* بيَّن النبي ﷺ لنا في نموذج من الأمم السابقة كيف تكون عاقبة الخائنين، فقال ﷺ: عن النصارى الذين طلبوا من الله المائدة: «**أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد، فخانوا وادخروا ورفعوا لغد، فمسخوا قردة وخنازير**»(١).

* بيَّن النبي ﷺ كيف تستجير الأمانة بالله من الخائنين، فقال ﷺ: «**ثلاث متعلقات بالعرش: الرحم تقول: اللهم إني بك فلا أُقطع، والأمانة تقول: اللهم إني بك فلا أُخان، والنعمة تقول: اللهم إني بك فلا أُكفر**»(٢).

* وكما رهَّب النبي ﷺ من الغدر والخيانة، فإنه ﷺ رغَّب في أداء الأمانة حتى يضمن لصاحبها أن يشفع له في دخول الجنة، فقال ﷺ: «**اضمنوا لي ستّاً؛ أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»(٣).

* وأداء الأمانات لأصحابها والوفاء بالعهود من سمات المؤمن مع المسلم وغيره، ولذلك حذرنا

---

(١) الترمذي. (٢) البزار. (٣) أحمد.

النبي ﷺ من خيانة الأمانة ونقض العهد حتى مع غير المسلمين، فقال ﷺ: **«من قتل نفساً معاهدة بغير حقها؛ لم يرح رائحة الجنة وإن ريح الجنة ليوجد من مسيرة مائة عام»**(١).

* بيَّن النبي ﷺ أن الخيانة والغدر من سمات المنافقين، وينبغي علينا أن نتخلى عن تلك السمات السيئة، ونتحلى بضدها، فقال ﷺ: **«ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا حدَّث كذب، وإِذا وعد أخلف، وإِذا ائتمن خان»**(٢).

* بيَّن النبي ﷺ أن من أشراط الساعة أن يتهم الناس الأمين بالخيانة، وأن يؤتمن الخائن، فقال ﷺ: **«من أشراط الساعة: الفحش والتفحش وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن»**(٣).

* ولمَّا كانت الخيانة والغدر صفات ذميمة، فإنه يتعذر أن تجتمع في قلب مؤمن مع الأمانة والوفاء، فقال ﷺ: **«لا تجتمع الخيانة والأمانة جميعاً»**(٤).

---

(١) ابن حبان.

(٢) مسلم.

(٣) الطبراني.

(٤) أحمد.



وصايا

- احفظ الأمانة وأدِّها إلى أصحابها كما هي غير منقوصة.

- أعظم الأمانات أمانة الله، فارعها وقم بها حق قيام.

- تذكر عهدك مع الله بالإيمان والعمل الصالح وإياك والغدر.

- أسرار بلدك أمانة، فإياك وخيانة بلدك بإفشاء أسرارها.

- الحديث أمانة، فإياك والمزايدة عليه أو إشاعة الفتنة به بين الناس، والكلمة أمانة، فاحرص على أن يكون كلامك مفيداً، يدل على الخير فهو دليلك إلى الجنة.

- العين والأذن واليد وسائر الجوارح أمانة من الله فأحسن استعمالها، والبيع والشراء عهد وأمانة، فإياك والغش.

- احذر الغدر بكل صوره عملًا بقول النبي ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»(١).

---

(١) أحمد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

احذر الرياء

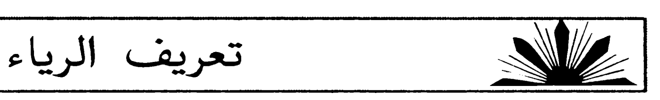
تمهيد

فطر الله الإنسان على الحفاظ على نفسه، والحرص عليها من كل ما يضر بها، فإذا مرض الإنسان، سعى إلى الطبيب ليداويه، كي يتم الشفاء بإذن الله.

وإن كانت أمراض الأبدان تجب الرعاية بها، وصرف الهمم إليها، لتستقيم حياة الإنسان، فإن أمراض القلوب أولى بالرعاية وصرف الإهتمام، لأن القلب إذا مرض انغلقت أمام المريض أبواب الخير، بل ويتعدى خطر مرض القلب إلى الآخرة، ولا يتوقف على الدنيا فحسب.

وإن من أخطر أمراض القلوب الرياء، فبه يصبح عمل الإنسان هباءً منثوراً، بل الإنسان بالرياء يخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، فالمرائي

يعمل بالطاعات لا من أجل الله، ولكن من أجل طلب المنزلة في قلوب الناس، فهو لم يسعد في الدنيا، وخسر سعادة الآخرة.



تعريف الرياء

الرياء في اللغة:

أصل الرياء من الفعل: راءى، يقال: راءاه مراءاة ورياءً أي: أراه أنه متصف بالخير والصلاح على خلاف ما هو عليه.

الرياء في الشرع:

الرياء هو: قصد إظهار الأعمال الصالحة لينال الشخص المنزلة في قلوب الناس، فالمرائي هو: الشخص المريض، والمراءى هم الناس الذين يطلب المنزلة في قلوبهم، والمراءى به هي: الأعمال الصالحة التي قصد المرائي إظهارها.

وقد سئل الحسن البصري عن الإخلاص والرياء فقال: «من الإخلاص أن تحب أن تكتم حسناتك، كما تحب أن تكتم سيئاتك، فإن أظهر الله عليك حسناتك

تقول: هذا من فضلك وإحسانك، وليس هذا من فعلي ولا صنيعي.

وتذكر قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. أي: يؤتون الإخلاص، وهم يخافون ألا يقبل منهم. وأما الرياء: فطلب حظ النفس من عملها في الدنيا. قيل له: كيف يكون هذا؟ قال: من طلب بعمل بينه وبين الله تعالى سوى وجه الله والدار الآخرة فهو رياء».

وسأل رجل سعيد بن المسيب - رضي الله عنه - فقال له: إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يُحمد ويؤجر. فقال له: أتحب أن تمقت؟ قال: لا. قال: فإذا عملت لله عملًا، فأخلصه.



أقسام الرياء

الرياء ليس قسماً واحداً، بل تتعدد أقسامه، وتختلف أشكاله، ومن أقسام الرياء ما يلي:

1 - الرياء بالقول:

هو: أن يتكلم الإنسان أمام الناس بغرض مراءاتهم وطلب المنزلة في قلوبهم.

وهو نوعان: رياء أهل الدنيا، ورياء أهل الدين.

* رياء أهل الدين:

ومظاهر الرياء بالقول عند أهل الدين كثيرة، أهمها:

١ - مراءاة أهل الدين بالوعظ والتذكير، والنطق بالحكمة، وحفظ الآثار والأخبار، لأجل استعمال ذلك في محاورة الآخرين لتكون حجته أقوى، أو لأجل أن يظهر غزارة علمه، وأنه من العلماء الذين يجب أن يوقروا ويحترموا، أو لأجل إظهار اهتمامه بالسلف الصالح دون غيره، فيكسبه ذلك وقاراً واحتراماً من الناس.

٢ - تحريك الشفتين بالذكر أمام الناس، حتى يقال عنه: إنه ذاكر لله تعالى، أما إذا كان هذا حاله، ولم يبال بوجود الناس فليس ذلك رياءً.

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرِ بمشهد من الناس حتى يقال: إنه مصلح.

٤ - إظهار الغضب إذا رأى منكراً، وإظهار الأسف على ارتكاب الناس للمعاصي.

٥ - ترقيق الصوت بالقرآن، حتى يظن سامعه أنه خاشع في قراءته للقرآن.

٦ - ادعاء ملاقاة الشيوخ والعلماء وربما يكون قد سمع عن شيخ شيئاً فادعى لقاءه ومخاطبته له.

٧ - المجادلة بقصد إفحام الخصم، ليظهر للناس قوة علمه.

- رياء أهل الدنيا:

مراءاة من يبتغي الدنيا كثيرة، أهمها:

١ - إظهار حفظ الأشعار والأمثال، ليقال: إنه مثقف.

٢ - التفاصح في العبارات، ليعلم أنه فصيح في اللغة.

٣ - التفاخر بما عرف من علوم دنيوية لا يعلمها كثير من الناس لتعلو منزلته بين أقرانه، فيكون مقدماً عليهم في المجلس وعند الحديث.

2 - الرياء بالعمل:

هو: أن يطلب الرجل منزلة في قلوب الناس بإظهار بعض الأعمال، ومن مظاهر الرياء بالعمل عند كثير من الناس ما يلي:

١ - مراءاة المصلي بطول القيام، ومد الظهر، وطول السجود والركوع، وإطراق الرأس أمام الناس، حتى يقال عنه: إنه خاشع في الصلاة.

٢ - كثرة الصوم من النافلة، وإخبار الناس بذلك، فيتحدث مثلًا عن فوائد الصوم، وهو يريد بذلك أن يعرف الناس عنه أنه صائم.

٣ - الإكثار من الحج بغرض أن يقال عنه: إنه يكثر من الحج، فيتباهى في المجالس، كأن يقول: لقد حججت كذا مرة، كنت أصنع كذا وكذا.

٤ - إظهار الصدقة والتحدث عنها، والمن بها أمام الخلق، وقد يذكر أن فلاناً أتى إليه يطلب منه شيئاً، فأعطاه إياه، أو أعطاه أكثر منه، فإن لم يشكره الناس على ذلك غضب، وربما منع التصدق على الفقراء.

٥ – التمهل في المشي عند اللقاء فيرخي جفونه، وينكس رأسه ويظهر الوقار في الكلام، وإذا كان وحده أسرع، فإذا طلع عليه أحد من أهل الدين، رجع إلى الوقار حتى لا ينسب إلى العَجَلة وقلة الوقار، فإذا ذهب عنه من كان معه، عاد إلى عَجَلتِهِ، فإذا رآه عاد إلى خشوعه، وربما عود نفسه في الخلوة شيء معين، ليظهر به أمام الناس، حتى لا ينسى ويخالف ما يجب أن يظهره، وإنما يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الناس.

3 – المراءاة بالأصحاب والزائرين:

وهو: أن يظهر للناس أنه له أصحاباً ذوي مكانة عالية، يخالطهم ويصاحبهم، ويقصد بذلك أن يرتفع قدره عند الناس، ومظاهر ذلك ما يلي:

١ – أن يطلب من العلماء زيارته، حتى يقال: إن فلاناً قد زار فلاناً، أو يطلب من عابد أن يزوره، حتى يقال: إن أهل الدين يتبركون بزيارته، ويترددون عليه.

٢ – أن يخالط الملوك والسلاطين أو عمالهم، حتى يقال: إن الملوك يتبركون به، لعظم مرتبته في الدنيا، أو يتقرب منهم لينال مكانة عظيمة يشتهر بها أمام الناس.

٣ - الإكثار من ذكر الشيوخ، ونسج الحكايات حول ملاقاته لهم، حتى يكون له قبول عند الناس على حساب هؤلاء الشيوخ.

4 - المراءاة بمتاع الدنيا:

وذلك يكون بإظهار ما أنعم الله عليه من الثياب، وإظهار التوسع والتجمل في الملبس والمسكن والأثاث، فإذا أتى له ضيف، أشار إلى ما في بيته من أثاث، فقال: لقد اشتريت هذه بكذا وكذا، إظهاراً لما هو فيه من حال الغنى، فيريد بذلك أن يوقره الناس.

* * *



حكم الرياء

الرياء محرم بالكتاب والسنة وإجماع العلماء، ولا يجوز للمسلم أن يتصف به، يقول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

أي: لا يرائي بعمله أحداً مع الله، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله

وراءوا معه غيره، فإن الله تعالى يبطل ثوابها، ويجعلها كالهباء المنثور.

وقد جاءت الأحاديث تدل على تحريم الرياء، فعن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والشرك الأصغر**». قالوا: يا رسول الله! وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء، يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤونهم بأعمالكم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**»(١).

وقال ﷺ: «**قال الله عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملًا أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك**»(٢).

وقد أجمع علماء الأمة كافة على تحريم الرياء، ولو كان في هذا الأمر خلاف، لنقل إلينا، لأن هذا مما تعم به البلوى، وهو أمر يخص المسلمين جميعاً، فمثل هذا الأمر لا يغفل، وقد جاءت أقوال علماء الأمة وحكمائها تدل على هذا.

يقول الفضيل بن عياض: «ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك».

---

(١) أحمد. (٢) ابن ماجه.

وقال الحسن البصري مبيناً حالة المرائي: «المرائي يريد أن يغلب قدر الله تعالى، وهو رجل سوء، يريد أن يقول الناس: هو رجل صالح، وكيف يقولون وقد حلّ من ربه محل الأردياء (جمع: رديء، وهو الرجل الوضيع)؟!».

التحذير من الرياء

حذر الشرع من الرياء، وجعله مذموماً، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون: ٤-٦].

ولا يصلح في العمل أن يريد به الإنسان وجه الله عز وجل ووجه غيره، فإن ذلك شركاً به سبحانه، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رجل: يا رسول الله! إني أقف الموقف أريد به وجه الله، وأريد أن يُرى موطني. فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1] [الكهف: ١١٠].

---

(١) الحاكم.

والله تعالى يتبرأ من شرك الأعمال يوم القيامة، ويكل المرائين إلى من راؤوهم حيث لا ينفعونهم، فعن أبي سعيد ابن أبي فضالة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه، نادى منادٍ: من كان أشرك في عمله لله أحداً، فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك**»(١). وإن من أشر أنواع الرياء؛ الرياء بعمل الطاعات وإظهار العبادات أمام الخلق.

وقد كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يكره الرياء ويحذر الناس منه، فقد رأى - رضي الله عنه - رجلًا يطأطئ رقبته وهو يسير في الطريق، فقال له: «يا صاحب الرقبة! ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب».

وكان رسول الله ﷺ أخوف ما يتخوف على أمته الرياء بأعمالهم، ولا سيما الصالح منها، فقد ذهب عبد الواحد بن زيد إلى شداد بن أوس - رضي الله عنهما - في مصلاه فرآه يبكي، فقال له: ما الذي أبكاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال شداد بن أوس: حديث سمعته من رسول الله ﷺ يوماً، إذ رأيت بوجهه أمراً ساءني،

(١) الترمذي وابن ماجه.

فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما الذي أرى بوجهك؟ قال: «**أمراً أتخوفه على أمتي من بعدي**». قال شداد: ما هو يا رسول الله؟ قال: «**الشرك والشهوة الخفية**». قال: يا رسول الله! أو تشرك أمتك من بعدك؟! قال: «**يا شداد! أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكنهم يراؤون بأعمالهم**». قال: والرياء أشركٌ هو؟! قال: «**نعم**». قال: فما الشهوة الخفية؟ قال ﷺ: «**يصبح أحدهم صائماً، فتعرض له شهوات الدنيا فيفطر**». قال عبد الواحد: فلقيت الحسن البصري، فقلت: يا أبا سعيد! أخبرني عن الرياء: أشركٌ هو؟ قال: نعم، أما تقرأ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1] [الكهف: ١١٠].

وقابل أبو أمامة الباهلي رجلًا في المسجد يبكي في سجوده، فلما انتهى الرجل من صلاته، توجه إلى الرجل ناصحاً ومعلماً، فقال له: أنت . . أنت، لو كان هذا في بيتك.

وقال الحسن البصري يعظ أصحابه: «لقد صحبت أقواماً - يعني: الصحابة - إن كان أحدهم لتعرض له

---

(١) الحكيم الترمذي.

الحكمة لو نطق بها لنفعته، ونفعت أصحابه، وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة، وإن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى، فما يمنعه أن ينحِّيه إلا مخافة الشهرة».

والنية هي التي تحدد العمل أهو مخلص فيه فيعمله، أم هو مراءٍ فيه فيتركه؟ قال عكرمة تلميذ ابن عباس: «إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله؛ لأن النية لا رياء فيها، ولا يظن إنسان أن يخدع الناس بعمله، فالله تعالى هو الذي يجعل الإنسان يحب أخاه».



درجات الرياء

الرياء ليس درجة واحدة، فهناك من أبواب الرياء ما هو أشد وأغلظ من بعضه، واختلاف الرياء راجع إلى اختلاف أركانه، وأركان الرياء ثلاثة هي: قصد الرياء، والمراءى لأجله، والمراءى به.

الركن الأول: قصد الرياء:

وهو أربع درجات:

١ - أن لا يكون المراد الثواب أصلًا، مثل الذي

يصلي أمام الناس، فإذا انفرد لم يصلِّ، بل ترك الصلاة بالكلية، بل ربما صلى أمام الناس بلا وضوء، أو كالذي يتصدق على الفقراء أمام الناس، فإذا سأله سائل وحده، لم يعطه شيئاً، وإنما يصلي المصلي، ويتصدق المتصدق لأجل الناس فحسب.

٢ - أن يراءى بالعمل مع قصد الثواب، ولكن همه الأكبر الرياء، فهذا قريب من سابقه.

٣ - أن يقصد الثواب والرياء، بحيث لو كان الرياء وحده هو الباعث، لم يعمل شيئاً، ولكن إذا اجتمع الرياء والثواب دفعه ذلك إلى العمل، فهذا أمره إلى الله.

٤ - أن يكون اطلاع الناس مما يقوي عزيمته على فعل العبادة، ولكنه لا يترك العمل، حتى لو لم يطلع عليه الناس، ولو كان غرضه الرياء وحده، لم يقدم على العمل، فهذا يثاب، ولكن ينقص من ثوابه.

الركن الثاني: المراءى لأجله:

وهو: ما يقصد المرائى من فعله، كإدراك جاه أو مال أو محبة في قلوب الناس، وهو أيضاً ثلاث درجات:

١ - أن يكون هدفه من الطاعة التمكن من المعصية،

كالذي يظهر التقوى والورع ليعرف بالأمانة حتى يتولى القضاء، أو الأوقاف ونحو ذلك، فإن سلمت له أموال الزكاة أخذ منها قدر المستطاع، ونحو ذلك.

٢ - أن يكون غرضه نيل مباح من حظوظ الدنيا، من مال أو نكاح امرأة جميلة، كالذي يرغب أن يتزوج ابنة عالم عابد، فيظهر له العلم والعبادة، ليرغب في تزويجه ابنته، وهذا رياء محظور.

٣ - ألا يكون غرضه من الدنيا أن ينال شيئاً، ولكن يظهر العبادة خوفاً من أن ينظر إليه بعين النقص، كالذي يرى جماعة يصلون بالتراويح، فيصلي معهم، حتى لا ينسب إليه الكسل.

الركن الثالث: المراءى به:

ويقصد بالمراءى به الطاعات، والرياء فيه ينقسم إلى قسمين: الرياء بأصول الأعمال والعبادات، والرياء بأوصافها.

1 - الرياء بأصول العبادات:

وهو على ثلاث درجات:

١ - الرياء بأصل الإيمان، وهو أغلظ أبواب

الرياء، وصاحبه مخلد في النار، وهو الذي يظهر التوحيد والإسلام، ويخفي الكفر والتكذيب، ولكنه يرائي ببعض مظاهر الإسلام، وأولئك الذين قال الله فيهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. وقال فيهم أيضاً: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وهؤلاء أشد عذاباً من الكفار المجاهرين، لأنهم جمعوا بين كفر الباطن، ونفاق الظاهر.

٢ - الرياء بأصول العبادات، ومثال ذلك أن يكون الرجل مع جمع من الناس وقد أذن للصلاة، فيصلي معهم، ولو كان وحده لأخر الصلاة عن وقتها. وهكذا كل فعل يفعله، فهو لا ينكره، ولكن يكون وجود الناس هو الباعث على هذا الفعل، ولولا ذلك لما فعله.

٣ - المراءاة بالنوافل والسنن، فإنه يفعلها في حضور جمع من الناس، ولو كان وحده لتركها تكاسلاً، مثال ذلك: حضور الجماعة في الصلاة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وغسل الميت، وهو يفعل ذلك طلباً للحمد، وخوفاً من المذمة.

2 – الرياء بأوصاف العبادات:

والرياء بأوصاف العبادات ثلاث درجات:

١ – أن يحسِّن من عبادته أمام الناس مراءاة، كأن يكون من عادته تخفيف الصلاة من قراءة وركوع وسجود، فإذا صلى أمام الناس بحيث يرونه أثناء الصلاة أحسن الصلاة، وأطال القراءة والركوع والسجود. قال ابن مسعود - ﷺ -: «من فعل ذلك فهو استهانة؛ يستهين بربه عز وجل».

٢ – أن يرائي بفعل شيء به تتم العبادة، مثاله: أن يكثر الصمت أثناء الصوم أمام الناس، فإذا خلا في بيته تكلم أو أن يخرج الجيد من زكاته أمام الناس، ولو كان وحده لأخرج الرديء.

٣ – أن يرائي بأمور زائدة عن فعل النوافل، كحضور الجماعة قبل الناس، وأن يقف في الصف الأول قبلهم، وأن يكون على يمين الإمام.



آثار الرياء

الرياء من أخطر الأمراض لما يترتب عليه من

الآثار الضارة على الإنسان، ومن أهم هذه الآثار ما يلي:

1 - الويل والهلاك:

إن الذين يراؤون بأعمالهم، يبتغون به مرضاة الناس دون مرضاة الله تعالى، يحذرهم الله تعالى من سوء العاقبة، وهي الويل والعذاب. قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون: ٤-٦].

والذين يراؤون بأعمالهم إنما يمكرون السيئات في الخفاء؛ لأنه ربما لا يعرف كثير من الناس حقيقة هدفهم، فكان جزاؤهم العذاب الشديد بما كسبت أيديهم. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

2 - فقد النصير:

يقف الذين يراؤون بأعمالهم يوم القيامة أذلاء ناكسي رؤوسهم عند ربهم، لا نصير لهم، ولا مدافع عنهم، لأنهم إن كانوا يراؤون الناس لكسب الأنصار، فإنهم يفقدون ذلك يوم القيامة، إذ ليس في الآخرة غش أو خداع، وإنما يوفى كل إنسان ما عمل، فعن

رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء**»[١].

3 - إحباط العمل:

من أخطر آثار الرياء على الإنسان أن يفقد الإنسان عمله، فربما يأتي يوم القيامة بكثير من الأعمال الصالحة، لكنه لا يجد منها شيئاً، فيجعلها الله هباءً منثوراً، بل إن من أخطر الأمور أن يتعب الإنسان نفسه في الطاعة، ثم تكون بعد ذلك هباءً لا فائدة منها، فالكافر يتمتع بما يفعل، ويعلم أنه كافر بالله، فيحصل على غايته من الدنيا، أما المسلم الذي يرائي فهو يتعب نفسه في الدنيا، ويخسر أعماله يوم القيامة.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأُتي به، فعَرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدتُ. قال:**

---

(١) أحمد.

كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل تعلَّم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلَّمت ليقال: عالم، فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأُتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تُحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جوادٌ (كريم)، فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار»(١).

ولما بلغ هذا الحديث معاوية - رضي الله عنه - بكى حتى غشي عليه، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

---

(١) مسلم.

4 – الفضيحة:

يقصد المرائي غرضاً قد لا يفطن له كثير من الناس، وربما لا يفتضح أمره بين الناس في الدنيا، لكن الله تعالى يجازي المرائي يوم القيامة بالفضيحة على رؤوس الأشهاد، وكفى بجريمة المرائي إثماً، وكفى بالفضيحة جزاءً، فالمرائي يعمل لوجه الناس، وهو يريهم أنه يريد الله كذباً وزوراً، فلا غرو أن يفضحه الله يوم تبلى السرائر، وأن يسحب على وجهه إلى النار! يقول الرسول ﷺ: «**بشِّر هذه الأمة بالتيسير، والسناء، والرفعة بالدين، والتمكين في البلاد، والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا، فليس له في الآخرة من نصيب**»(١).

وعن جندب بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ سمَّع، سمَّع الله به، ومَنْ راءى راءى الله به**»(٢). ومعناه: مَنْ أظهر عمله للناس رياءً أظهر الله نيته الفاسدة في عمله يوم القيامة، وفضحه على رؤوس الأشهاد.

---

(١) البيهقي.

(٢) مسلم.

وعن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة**»[١].

5 – يسير الرياء شرك:

إن الذي يرائي بعمله يقع في الشرك بالله تعالى، والشرك أعظم الذنوب، وأخطرها على الإنسان، لأنه يعني فقدان الدين، مما يترتب على ذلك من ظلم الإنسان لنفسه في الدنيا، والهلاك في الآخرة، فعن محمود بن لبيد قال: خرج النبي ﷺ فقال: «**يا أيها الناس! إياكم وشرك السرائر**». قالوا: يا رسول الله! وما شرك السرائر؟ قال: «**يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر**»[٢].

وعن زيد بن أسلم عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «**اليسير من الرياء الشرك، ومن عادى أولياء الله، فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم**

---

(١) الطبراني بإسناد حسن.

(٢) ابن خزيمة في صحيحه.

يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة»[١].

6 - فقدان محبة الخالق والناس:

فالمرائي لا يراقب الله تعالى، بل يتوجه بعمله لغير الله، فيترتب على ذلك أن يكون مبغوضاً عند الله، مطروداً من رحمته، إلا أن يتوب إلى الله، ويرجع إليه.

والمرائي يفقد أيضاً محبة الخلق؛ لأن الله سبحانه يقذف في قلوب العباد كرهه، فلا ينال المرائي من عمله ما هدف إليه، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الله عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأحبه. قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه. قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»**[٢].

---

(١) الحاكم. (٢) مسلم.

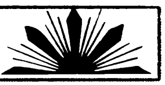
7 - الفشل وفقدان الثقة بالنفس:

إن الذي يرائي الناس، إنما يرائيهم ليتقرب إليهم، وربما يصنع ذلك ليصل إلى منزلة أو درجة عالية أكثر من زملائه في العمل مثلًا، وبذلك يسلك المرائي أقرب سبيل إلى الفشل وعدم الثقة بالنفس؛ لأنه لا يعرف غير هذه الطريقة، حتى يصل إلى ما يريد، بدلًا من أن يكون مجتهداً، يسلك الطريقة الصحيحة إلى ما يريد.

8 - الرياء ظلم:

الرياء نوع من الظلم، فالمرائي يظلم نفسه بما يصنع من أفعال الرياء، وما يقوله ابتغاء الرياء، فهو يعرض نفسه لعقاب الله، وكفى بذلك الفعل ظلماً، كما أن المرائي يظلم الناس، فربما أخذ المرائي مكان غيره، وهو بفعله ينشر الفساد بين الناس، فلربما رأى كثير من زملائه ما يصنع فيتبعون نهجه، ويسلكون طريقه، كي يصلوا إلى ما وصل إليه، وبذا ينتشر الفساد في الأرض، وتضيع الحقوق، وينتشر الظلم، ويرفع العدل بين الناس، وكما قال تعالى على لسان لقمان حين وعظ ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. والرياء نوع من أنواع الشرك.

***



العلاج من الرياء

ومن تلك الوسائل التي تعين الإنسان على التحلي بالإخلاص والبعد عن الرياء ما يلي:

1 - الدعاء:

على العبد أن يتوجه إلى ربه تعالى بالدعاء والتضرع أن يرزقه الإخلاص، وأن يجنبه الرياء، فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «**يا أيها الناس! اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل**». فقال له رجل: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**»[١].

2 - مراقبة الله تعالى:

فلا يراقب المخلوقين، فإنهم لن يغنوا عنه من الله شيئاً، وقد قال الفضيل بن عياض: «العمل من أجل

---

(١) أحمد والطبراني.

الناس شرك، وترك العمل من أجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما».

3 - مطابقة السر للعلانية:

المخلص ظاهره كباطنه، وقد قال أحد الزهاد: «من تزين للناس بما ليس فيه، سقط من عين الله تعالى».

4 - ترك قول الآخرين:

فعلى الإنسان أن يسوي بين مدح الناس وذمهم، وقد قيل: ما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله، والعكس أيضاً صحيح.

وينبغي على المسلم أن يستقل عمله ولا يستكثره، بل يسأل الله تعالى أن يتقبله، فهو لا يدري أقبل الله العمل أم لا؟ قال ﷺ: **«لن يُدخل أحدَكم الجنةَ عملُه»**. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»**(١).

---

(١) متفق عليه.



وصايا

* اعمل العمل خالصاً لله، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً.

* أكثر من طاعة السر، لأنها أدعى إلى الإخلاص عن طاعة العلانية.

* راقب الله تعالى، واعلم أنه مطلع عليك.

* حاول أن يكون ظاهرك كباطنك، وسرك كعلانيتك.

* لا تبالِ بما يقول الناس، وتوجه إلى الله بعملك.

* لا تجعل الله تعالى أهون الناظرين إليك.

* راقب الله في عملك وقولك، ولا تراقب المخلوقين.

* اتق الرياء فإنه أخفى من دبيب النمل.

❊ لا تفخر بزيارة الأكابر، فإن ذلك من شرك السرائر.

❊ اشكر الله تعالى على نعمه، ولا تفتخر بها على خلقه.

❊ احذر الشيطان، واعرف مسالكه، لتجتنبه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

احذر الإسراف

تمهيد

الإسراف نوع من مجاوزة حد الإعتدال والتوسط، والإسلام دين اعتدال، وهو يرفض الجنوح والشطط. قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

وقد قال أعرابي لابن عباس - رضي الله عنهما -: إن العرب تقول: حب التناهي شطط، وخير الأمور الوسط، فهل هذا في القرآن؟ قال: نعم، في أربعة مواضع: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]. أي: وسط في السن بين الكبر والصغر. وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]. أي: فتوسط بين الأمرين في الإنفاق.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وهذا السبيل هو الوسط في القراءة. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. أي: وسط في المعيشة.



تعريف الإسراف

أولاً: الإسراف في اللغة:

الإسراف في اللغة يعني: مجاوزة القصد، ومجاوزة القصد يعني: مجاوزة حد الإعتدال، وتتصل كلمة: الإسراف بكل شيء في حياتنا ينبغي التصرف فيه، فإذا جاوزنا فيه حد القصد كنا مسرفين.

والإسراف في المال يعني: إنفاقه فيما لا يفيد، والإسراف في الوقت: تضييعه وإهداره فيما لا ينفع، والإسراف في الكلام يعني: الثرثرة وكثرة اللغو وإفشاء السر، والإسراف في الأكل والشرب يعني: التخمة وتجاوز القصد فيه، وهو مجاوزة حد الشبع أو ما يفوقه، وفي المعاصي: تجاوز الحلال إلى الحرام

والإستزادة منه، وفي الحدود: تجاوز إقامة الحد والزيادة عليه.

ويرتبط بالإسراف كلمة أخرى، وثيقة الصلة بها، وهي: كلمة التبذير، ولها معانٍ تقترب من الإسراف إلى حد بعيد، ولكنها أكثر التصاقاً بالإسراف في المال والإنفاق.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧]. فالتبذير في المال يعني: تفريقه إسرافاً، وبذر الحديث: أفشاه ونشره، وبذر المال: ألقاه في الأرض، وتبذر الشيء: انتشر وتفرق، واستبذر السحاب: أسرع وفرق ماءه. ومن ذلك تبين أن كلمة التبذير تعني أيضاً تجاوز حد الإعتدال.

ثانياً: الإسراف في الشرع:

الإسراف في الشرع يعني: تجاوز حد التوسط والإعتدال فيما شرع الله، أو فيما نهى الله عنه.

والإسراف في المال: إهداره فيما حرم الله، أو إهداره في حلال، ولكنه ليس في ضرورة. قال

تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

والإسراف في المعاصي: البعد عن الحلال والإستزادة من الحرام. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

والإسراف في الكلام: الغيبة والنميمة، والبهتان، وإفشاء السر، وقول الزور، وشهادة الزور وغيرها مما يجري الكلام فيه فيما حرم الله.

والإسراف في الوقت: إهداره وضياعه فيما حرم الله، وعدم أداء الفرائض فيه. والإسراف في الحدود: تجاوزها إلى غير ما حدد الله. قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

والإسراف في القتل كما قال المفسرون: لا يقتل غير قاتله، فإذا قتل غير قاتله، فقد أسرف.

والإسراف في الأكل والشرب: يعني تجاوز القصد منه وهو إقامة الصلب، وحفظ الحياة للنفس إلى التفنن في صفوف الأطعمة، والشبع الزائد منها، قال

تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. وقد يعني أيضاً: أكل ما لا يحل أكله، وشرب ما لا يحل شربه.



أنواع الإسراف وأشكاله

الإسراف نوعان:

١ - الإسراف في الأقوال.

٢ - الإسراف في الأعمال.

ويقصد بالقول كل ما يقوم به اللسان من كلام، ويقصد بالعمل كل ما تقوم به الجوارح من تصرفات.

أولاً: الإسراف في الأقوال:

جعل الله تعالى اللسان وسيلة للتعبير عن النفس وخواطرها وأفكارها، كما جعله وسيلة للتعارف والتآلف بين الناس، وقد خصص الله اللسان للكلام، وحدد له ما ينبغي له التحدث فيه، ألا وهو الحسن من الكلام، الذي يؤلف القلوب ويصلح بين الناس، ويحق الحق ويبطل الباطل. قال رسول ا

الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**(١).

وقال رسول الله ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»**(٢).

كما قال ﷺ: **«وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا ما نطقت به ألسنتهم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت عن شر، قولوا خيراً تغنموا، واسكتوا عن شر تسلموا»**(٣).

أما المذموم من الكلام فهو:

1 - الغيبة:

وهي ذكر الشخص الغائب، بما يكره، وفي ذلك إساءة له، وإظهار لعيوبه ومساوئه، وقد حذر الإسلام من الوقوع في الغيبة، وصور القرآن الشخص المغتاب في أبشع صورة، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) و(٢) متفق عليهما. (٣) الطبراني.

2 – النميمة:

وهي نقل الكلام بين الناس للإفساد بينهم، وللنميمة آثار اجتماعية سيئة، ولذلك أكد الإسلام على حرمتها، ودعا المسلم للوقوف ضدها. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١].

3 – البهتان:

ذكر الآخرين بما ليس فيهم، وشاية بهم، وإساءة إليهم. وقد توعد الله لهم باحتمال الإثم المبين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

4 – الكذب:

نهى الشرع عن الكذب، وحث على الصدق، لما في الكذب من ضرر الفرد والمجتمع، ولذلك توعد الله الكاذبين بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]. وكذلك توعدهم رسول الله ﷺ فقال: «**من كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار**»[١].

5 – قول الزور وشهادة الزور:

والزور هو الباطل اللابس ثوب الحق، وذلك

(١) متفق عليه.

لتغليب جانب الباطل على جانب الحق لصالح بعض المنتفعين من أصحاب الباطل. وفي ذلك ضرر بأصحاب الحقوق، ولذلك نهى الله عن قول الزور وشهادة الزور، قال تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

وحث المؤمن على الشهادة بالحق ولو على نفسه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النساء: ١٣٥].

6 – اليمين الغموس:

هو أن يحلف الإنسان بالله كذباً، وهو قاصد ومتعمد لذلك.

وقد نهى الشرع عن اليمين الغموس، وحذر منه رسول الله ﷺ فقال: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**»[١].

7 – تأليف الكلام:

بهدف إهمال الآخرين، وفي ذلك ضياع للوقت، وإهدار لقيمته، وتعويد للسان المسلم على الكذب. قال رسول الله ﷺ: «**ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ثم ويل له**»[٢].

---

(١) البخاري. (٢) الترمذي.

8 - الثرثرة:

وهي كثرة الكلام، وتكلف الشخص في الفصاحة ليظهر شخصيته أمام الناس، وقد حذر الإسلام من الثرثرة، وكثرة الحديث فيما لا يفيد، وأكد على حرمان الثرثارين من فضل عظيم في الآخرة، لا يحصل عليه إلا من ضبط لسانه وكفَّهُ عن الخطأ.

قال رسول الله ﷺ: «**إن أمن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون**»(١).

9 - الحلف بغير الله:

فلا يجب على المسلم الحلف بغير الله، يقول رسول الله ﷺ: «**لا تحلفوا بالطواغيت** (الأصنام)، **ولا بآبائكم**»(٢).

وكذلك الحلف على السلعة ولو بالصدق، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: «**الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب**»(٣).

---

(١) الترمذي. (٢) مسلم. (٣) متفق عليه.

ثانياً: الإسراف في الأعمال:

يتمثل الإسراف في الأعمال في عدة أمور:

أ- الإسراف في الإِنفاق:

ومن مظاهره:

- الإِسراف في الملبس والمأكل:

نهى الشرع عن الإسراف في التفنن في أصناف الملابس، والتي تتسم بالإبهار، والإختلاف عن الآخرين لمجرد التميز.

قال رسول الله ﷺ: **«لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره خيلاء»**(١).

كما نهى الإسلام عن لبس الحرير والذهب للرجال؛ لما في ذلك من إسراف وخروج عن الهدف الرئيسي من الثياب وهو ستر العورة، وحماية الجسد، ونهى عن الإسراف في المأكل والمشرب، والذي قد يصل أحياناً إلى حد الجشع والطمع، والإستزادة من التهام الطعام وإهداره.

---

(١) أحمد.

قال رسول الله ﷺ محدداً الهدف من الطعام والشراب: «**كل واشرب وتصدق في غير إسراف ولا مخيلة**»[١].

وقد حرص الإسلام على طهارة شراب المسلم وسلامته من كل سوء، كما نهى عن شرب الخمر، وما يشابهها في التأثير؛ لما فيها من مفسدة للمال والصحة.

- الإسراف في المسكن:

ويتمثل ذلك في سكن القصور الفخمة، وصرف الكثير من المبالغ الطائلة لتزيينها وتجميلها لمجرد المباهاة، وما يلزم لذلك من اقتناء التحف والنوادر من الذهب والفضة، ووضعها للزينة، وقد نهى الإسلام عن ذلك؛ لما فيه من إهدار للمال، وعدم استثماره لنفع المجتمع الإسلامي والنهوض به.

ب - الإسراف في المعاملات المالية:

ورغم أن كلمة الإسراف تتصل بأكثر من مفهوم، فإنها أكثر التصاقاً بالإنفاق الزائد عن الحد، ولهذا فقد أكد الإسلام على أهمية المال، وبيَّن النواحي الشرعية

---

(١) أحمد.

لإنفاقه، وحذر المسلم من إهداره. قال تعالى ينهي عباده عن التبذير:

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

كما نهى عن المعاملات المالية غير الشرعية كالربا. قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ونهى عن الرشوة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وذلك لما في الرشوة والربا من إهدار لأموال الفقراء، لمصلحة ذوي المنافع من الأغنياء، وفي مقابل ذلك حرص الإسلام على استثمار الأموال؛ لما في ذلك من فائدة تعود على الفرد والمجتمع، ما دام في حدود ما شرع الله، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه**»(١).

كما اهتم الإسلام بالحفاظ على المال من الضياع، فقد أمر بكتابة الدَّيْن والإشهاد عليه، قال تعالى:

---

(١) أبو داود.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فإذا لم يتوفر شرط كتابة الدين فعليه بأخذ رهان من المدين لضمان حقه، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ج - الإسراف في المعصية:

لا ينبغي للمسلم أن ينغمس في ملذات الدنيا إلى حد الإسراف في المعصية والإصرار عليها، فقد يقع المسلم في المعصية، ولكن عليه أن يرجع ويتوب عنها فيجب أن تكون الآخرة مبلغ اهتمامه وحرصه.

قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠١، ٢٠٢].

د - الإسراف في الطاعات:

لا يعني حرص الإنسان على الآخرة أن يترك دنياه كلية، ويتجاوز الحد في الزهد والعبادة، فهذا يعد من الإسراف، والدين الإسلامي حرص على أن يهتم الإنسان بآخرته، وفي نفس الوقت ينال نصيبه من الدنيا في حدود ما شرع الله، فهو دين ودنيا في آن واحد. قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: ٧٧]. وقال رسول الله ﷺ: «**إن الرهبانية لم تكتب علينا**»(١).

فقد نهى الإسلام عن الإسراف في الطاعات؛ حرصاً على ألا يضيِّق المسلم على نفسه، فيقع في الملل وينتهي إلى المعصية.

وقد ورد عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تاقلُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: وأنا أصوم ولا أفطر، وقال الثالث: وأنا

---

(١) البخاري.

أعتزل النساء، فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

***



حكم الإسراف

الإسراف رذيلة نهى عنها الشرع، وحذر منها المسلمين، فهو مفسدة في الدنيا، وخسران في الآخرة، ولم يرد لفظ الإسراف في القرآن إلا وكان النهي قريناً له مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١]. أو النفي كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧]. وقول رسول الله ﷺ: «**وكلوا واشربوا في غير إسراف ولا مخيلة**»(٢).

فالإسراف إما إهدار لنعمة الله، وإما إهدار لحقوق الله، ويقصد بإهدار نعمة الله، عدم الحفاظ عليها، ووضعها في غير مكانها. أما الإهدار لحقوق الله، فيعني: عدم الإمتثال لطاعة الله، أو عدم الإعتراف بألوهيته.

---

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري.

وقد شبه الله المبذر المسرف، الذي يضيع نعمة الله بالشيطان، فكلاهما جاحد لنعمة الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

وذكر الله تعالى أمثلة للمسرفين في حقوق الله، ليتعظ أولو الألباب. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣].

كما ذكر عاقبة المسرفين، ليحذر المؤمنين أن يكونوا أمثالهم. قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٩].

ومن ذلك يتبين أن الإسراف خلق مذموم، منهي عنه شرعاً، ويجب على المسلم تجنبه والإنصراف عنه، فإنه مؤاخذ بكيفية تصرفه في نعم الله، وبتفريطه في حقوق الله.



آثار الإسراف في الدنيا

للإسراف آثار سيئة على المسرف، وعلى الأسرة، وعلى المجتمع الذي نعيش فيه.

أولاً: آثار الإسراف على الفرد:

1 - ضياع المال:

فالمال وسيلة يقضي بها الإنسان حاجاته، فينفقه فيما يفيد، لكن المسرف ضعيف العقل، قليل التفكير، ينفق ماله فيما يريد، لا فيما يفيد، وعندما تضيق الظروف، وتتغير الأحوال، يحتاج إلى المال في وقت الشدة، فلا يجده. والشاعر يقول:

وكـــان الـــمـــال يـــأتـــيـــنـــا فـــكـــنـــا
نـــبـــذره ولـــيـــس لـــنـــا عـــقـــول

فـــلـــمـــا أن تـــولـــى الـــمـــال عـــنـــا
عـــقـــلـــنـــا حـــيـــن لـــيـــس لـــنـــا فـــضـــول

2 - الحسرة وانصراف الناس:

في كثير من الأحيان يكثر أصدقاء المسرف ومعارفه، ويكون معظم هؤلاء من المتملقين المنتفعين بإسرافه، ولكن سرعان ما ينفض هؤلاء الناس بضياع المال، فيصير المسرف وحيداً، بعد أن كان ذا حسب وعزة. وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا الـمـرء لـم يـطـلـب مـعـاشـاً لـنـفـسـه
شـكـا الـفـقـر أو لام الـصـديـق فـأكـثـرا

وصار على الأدنين كلا وأوشكت
صلات ذوي القربى له أن تنكرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

3 - أن يصبح الفرد عالة على غيره:

فالإنسان العاقل يحافظ على ماله، فالمال يصون للإنسان كرامته، ويقيه شر السؤال والإحتياج إلى الغير، والمسرف بسرفه يضيع ماله، ويصبح عالة على غيره، ولذلك حرص الرسول ﷺ أن يوجه المسلمين لأهمية الإقتصاد في المال والحفاظ عليه. قال رسول الله ﷺ: **«ما عال من اقتصد»**(١).

ثانياً: آثار الإسراف على الأسرة:

المسرف لا يضر نفسه فقط، ولكن يضر أسرته أيضاً؛ حيث إنه بإسرافه يضيع ماله، ويترك أولاده من بعده أذلاء، يعيشون عالة على الناس، فيذوقون مرارة الفقر بعد أن ذاقوا نعيم الغنى والعز. والقاعدة التي ينبغي أن تتبع أنه «لا ضرر ولا ضرار». فالمسلم الحق لا يضر نفسه، ولا يوقع الضرر على غيره.

---

(١) أحمد.

ثالثاً: آثار الإسراف على المجتمع:

يؤثر الإسراف بشكل سلبي على الدول والمجتمعات، فالدولة المسلمة المقتصدة دولة غنية، تحقق ما أراده الله لها من قوة ترهب بها الأعداء.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

أما الدولة المسرفة، فهي دولة فقيرة لا قدرة لها على تكوين قوة، أو مواجهة عدو، وستعاني في المستقبل من آثار وخيمة، وهذا ما لا يرضاه الإسلام لأتباعه.

* * *



آثار الإسراف في الآخرة

يعاني المسرف من عواقب وخيمة في الآخرة، ومنها:

١ - الإسراف يبعد المسرف عن ربه، ويقربه من عذاب الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

٢ - المسرف ملتصق بالشيطان، متشبه به. قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧]. فكلاهما جاحد لنعمة الله، فالشيطان عصى الله وجحد نعمته، والمبذر جحد نعمة الله بأن وضعها في غير موضعها، فكلاهما عاصٍ مستحق للعقاب، مع الفارق بينهما.

٣ - المسرف مستحق للعذاب في النار ما دام كافراً. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٣].



تحذير القرآن من الإسراف

الإسراف صفة ممقوتة شرعاً، لها آثارها السيئة التي تعود على الفرد والمجتمع، ولذلك فقد حذر منها الشرع، وأكد على خطورتها، لينبه إليها من يُخاف عليه الوقوع فيها، ومن وقع فيها فعلاً.

ومن الآيات التي وردت في القرآن الكريم، وفيها تحذير من الإسراف: قول الله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ

خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

فعلى المسلم أن ينال نصيبه من الدنيا، فيأكل ويشرب من خيرات الله ونعمه، ولكن عليه أن يقتصد في أكله وشربه؛ لأن الإستزادة منها إسراف، وقد جعل الله المسرفين بعيدين عن محبته، لما في إسرافهم من إهدار وجحود لنعمة الله.

وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

فقد جعل الله المبذرين إخواناً للشياطين في التبذير؛ لأنهم نهجوا منهج الشيطان، وسرفوا في إهدار نعم الله، كما أسرف الشيطان في الجحود بنعم الله.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

لا بد أن يكون المسلم معتدلًا في إنفاقه، وأن يسلك مسلكاً محموداً بين الإسراف والبخل، فلا يضيق على نفسه، ولا يسرف في ماله؛ لأن ذلك يؤدي إلى الحسرة والندامة. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى

مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧]. فالإسراف في الجحود بالله والكفر به أشد أنواع الإسراف، ولذلك فقد توعد الله مرتكبه بأشد العقاب في الآخرة، لأنه زيادة في الطغيان، والفسق في الأرض.

* * *



تحذير الرسول ﷺ من الإسراف

ومن الأحاديث التي وردت تأمر بالقصد وتنهى عن الإسراف وتحذر منه: قول رسول الله ﷺ: «**ثلاث منجيات: العدل في الرضا والغضب، وخشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر. وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(١).

وقال ﷺ: «**كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة**»(٢).

ومما ورد عن الصحابة: قال سعد ابن أبي وقاص - رضي الله عنه -: «يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه في

---

(١) الطبراني. (٢) البخاري.

القناعة، فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس، فإنك لم تيأس من شيء إلا أغناك الله تعالى عنه».

فالدين الإسلامي دين اعتدال، يهتم بالآخرة، ولا يصرف المرء بكليته عن الدنيا، وقد كان الرسول مثالًا وقدوة، فلم يكن ﷺ متنعماً أو مترفاً، ولم يكن الخلفاء الراشدون من بعده يعيشون في ترف ونعيم، بل كانوا يلبسون الخشن من الثياب، ويأكلون القليل من الطعام.

أسباب الإسراف

لكي نصل إلى كيفية علاج الإسراف والتخلص منه، ينبغي أولًا أن نتعرف على أسبابه، فإذا انتبهنا جيداً لأسبابه، فقد يكون من السهل تلافي وجودها من البداية.

وهذه الأسباب متعددة، منها:

١ - أسباب نفسية.

٢ - أسباب اجتماعية وبيئية.

أولاً: الأسباب النفسية:

ترتبط الأسباب النفسية بشخصية الإنسان ذاته، وتظهر في سلوكه وتصرفاته، وهي تتمثل في:

1 - الجهل وعدم التعقل:

فالمسرف لا يقدِّر عواقب الأمور، ولا يلتفت للمستقبل، فهو يأمن لظروفه وأحواله، ولا يفكر في تغير الزمن، ويحسب بجهله وقلة عقله أن ماله سيدوم ناسياً أن الأيام دول، وللأحوال تقلبات، فقد يتحول من الغنى إلى الفقر، فيحتاج إلى ما كان ينفقه على غير فائدة فلا يجد.

2 - السفه:

ويقصد بالسفه عدم القدرة على التحكم في المال، وإنفاقه في وجوهه الصحيحة، ومن يتصف بذلك لا يأتمنه الشرع على ماله، فيعين له من يتصرف له في ماله، وهذا الأمر يختص بصغير السن الذي لم يبلغ بعد سن الرشد، أو المجنون، أو المصاب في عقله بمرض، أو كبير السن الذي طال به العمر، فأصبح لا يستطيع التحكم في ماله.

3 - رغبة زائدة في الدنيا:

فالمسرف شديد الرغبة في الدنيا، محبٌّ لها، يريد أن ينهل من كل خيراتها، وأن يتمتع بكل ما فيها، وكل ذلك دونما وعي أو تعقل. وقد نهى الشرع عن حب الإزدياد من التنعم والترف، قال رسول الله ﷺ: «**إياك والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين**»(١).

4 - التكبر والمباهاة بالمال:

يحب المسرف أن يظهر ماله تكبراً وتعالياً على غيره، فيلبس الغالي والغريب من الثياب، ويقتني أغلى التحف وأقيمها، ويتفنن في أنواع الأطعمة والأشربة التي يتناولها، وهذه التصرفات تضر بالفرد والمجتمع، إذ أنها تُشعر بوجود الفوارق المادية الشاسعة بين الطبقات المختلفة، ولذلك حذر الشرع من الإسراف والمباهاة بالمال تكبراً واختيالًا، ودعا إلى التوسط والقصد في إنفاق المال. قال رسول الله ﷺ: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً**»(٢).

وقد ذكر الله قصص المتكبرين المباهين بمالهم، من أمثال قارون، ليتعظ المؤمنون.

---

(١) أحمد. (٢) متفق عليه.

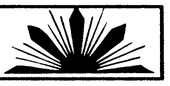
قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

[القصص: ٧٦، ٧٧].

ثانياً: الأسباب الإجتماعية والبيئية:

العادات والتقاليد التي يتربى عليها المرء تؤثر فيه، وهذه العادات يرثها الإنسان من الأب والأم في إطار الأسرة، ومن المجتمع في إطار البيئة، فمن ينشأ في أسرة مسرفة، مهدرة للمال يُتوقع منه في المستقبل أن يسلك مسلكهم في تصرفاته المالية.

فللأسرة والمجتمع دور هام في تعويد الفرد على حسن التصرف في ماله، وتعليمه الوجوه الشرعية لإنفاق المال؛ حيث إن سوء استخدام المال لدى كثير من الأفراد يرجع في الحقيقة إلى فشل الأسرة والمجتمع في تعريف الفرد بكيفية ترشيد المال وحسن استخدامه.



العلاج من الإسراف

الإسراف صنعة تتعلق بالقلب، وتظهر في السلوك، ولذلك فالعلاج منها يعتمد على أمرين: أحدهما معرفي، والآخر سلوكي. والجانب المعرفي يتركز في عدة معتقدات يجب أن يدركها الإنسان بقلبه، ويؤمن بها يقيناً. أما الجانب العملي فيتمثل في تطبيق ما عرفه الإنسان بقلبه، عن طريق الجوارح، فينظر في سلوكه وتصرفاته.

أولاً: الوسائل العلمية المعرفية:

يجب على الإنسان أن يدرك أهمية المال وقيمته، وهي:

أ - أن المال يجعل من الفرد عاملًا مؤثراً، إذ أنه أقدر من غيره على نفع نفسه ومجتمعه.

عن عمر بن الخطاب قال: «حسب المرء ماله، وكرمه دينه، ومروءته خلقه».

ب - أن المال صون للعرض وعون للدين، قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله**

الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[١].

وقال عبد الرحمن بن عوف: «يا حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي».

وقال سفيان الثوري: «المال سلاح المؤمن في هذا الزمان». وقال الحكماء: «لا خير فيمن لا يجمع المال يصون به عرضه، ويحمي به مروءته، ويصل به رحمه».

ج - أن المال نعمة ونقمة في نفس الوقت، فهو اختبار يمتحن به العبد، هل يشكر أم يكفر؟ وقد كان قارون مثالًا واضحاً لمن كان المال نقمة عليه، فقد قال تعالى فيه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]. لكنه لم يعترف بنعمة ربه، فكان جزاؤه كما قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «ما من يوم إلا وملك ينادي: يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك». وقيل لحكيم: ما مالك؟ قال: التجمل في الظاهر، والقصد في الباطن، واليأس مما في أيدي الناس.

---

(١) متفق عليه.

د - معرفة الوجوه الصحيحة لصرف المال، وهي كما يلي:

1 - الزكاة:

الزكاة فريضة لها نصاب محدد، أوجبها الشرع على الأغنياء اتجاه الفقراء. قال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة: ١١٠].

2 - الصدقة:

هي ليست فريضة، ولكنها سنة وفضيلة مستحبة في الشريعة الإسلامية، وتقدم للفقراء من الأقرباء المحتاجين، قال ﷺ: «**اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله**»(١).

---

(١) متفق عليه.



وصايا

* عود نفسك على القناعة والرضا بالقليل، فكلما تاقت نفسك لشيء قاومته، ورضيت بالقليل الذي يعينك على العيش، وقد قيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك.

* تجنب المسرفين ولا تقلدهم، وإنما حاول أن تجعلهم يقلدونك ويقتدون بك.

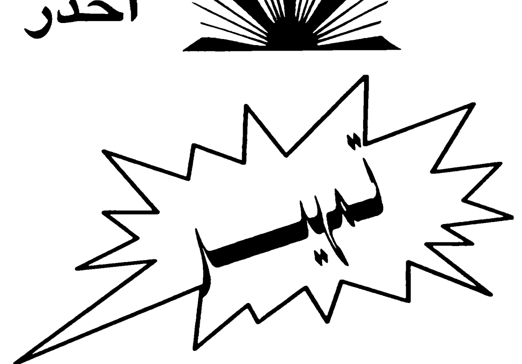
* صادق من يُعرف بحسن التصرف في ماله وتعلم منه كيف يدير حياته.

* استثمر أموالك في مشروعات تنفعك وتنفع أسرتك والمجتمع من حولك.

* ابتعد عن أصدقاء السوء الذين من مصلحتهم إسرافك لينتفعوا بمالك في وجوه الشر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

احذر السرقة



الإسلام نظام متكامل، يهدف إلى بناء القواعد الأساسية لمجتمع صحي سليم، ولذا فقد حدد الملكيات، وحرم الإعتداء عليها بغير وجه ولا شبهة، ووفر للمجتمع من التشريعات ما يضمن أمنه وسلامته، وأرسى قواعد الكسب الحلال، فلا يضطر المسلم للكسب الحرام عن طريق الربا أو أكل مال اليتيم أو أجرة الأجير، أو الغش والإحتكار، وغير ذلك من وسائل الكسب الحرام، كما حدد وسائل جمع المال، فكان العمل الشريف هو الوسيلة الأولى لكسب المال، ومن لا يستطيع العمل لمرض أو عجز، فقد فرض له الإسلام نفقة على القادرين من المسلمين، وإذا سرق المسلم في ظل هذا النظام، فإنه يستحق العقاب، لأنه ارتكب تلك الجريمة بغير حق، ومن هنا

كان للإسلام أمام السارق وقفة حازمة، فحد للسرقة حدّاً صارماً، لأنه سرق بغير عذر ولا شبهة، فلا رحمة له، ولا رأفة به متى ثبتت جريمته.

***

تعريف السرقة

أولاً: السرقة في اللغة:

السرقة مأخوذة من مادة (س ر ق) التي تدل على أخذ الشيء في خفاء وستر، يقال: سرق يسرق سرقة وسرقاً، واسترق السمع إذا تسمَّع مختفياً، وسرق منه مالًا يسرق سرقاً، والإسم منه السرقة، والمسرقة والإستراق والتسرق: اختلاس النظر والسمع، والتسريق: النسبة إلى السرقة.

ثانياً: السرقة شرعاً:

السرقة: هي أخذ مال الغير على وجه الخفية والإستتار، ومنه استراق السمع ومسارقة النظر، إذا كان يستخفي بذلك.

وقيل: هي أخذ العاقل مقداراً مخصوصاً من المال خفية من حرز معلوم بدون حق ولا شبهة. ويرتبط

بالسرقة أكل الحرام، والتطفيف في الميزان، والرشوة والغش. وتتنوع السرقة بتنوع أساليبها وطرقها، وعلى هذا فاللصوص أنواع بحسب الطريقة التي يستخدمونها في السرقة، وسنعرف كل نوع فيما يلي:

اللص: هو من يسرق الناس ليلاً والناس نيام، فيخترق حرمة البيوت، ويغتصب الأبواب والشبابيك، وينتهك حرمة الحجرات، ليغتصب ما يشاء من حُليٍّ ومجوهرات، ونقود وعقود، وكل ما غلى ثمنه.

المختلس: هو من يستغفل صاحب المال فيخطف ماله، ويذهب به مسرعاً جهراً، فكأنه خطفه من صاحبه الغافل عنه، وهرب قبل أن يلحظ صاحب المال ذلك.

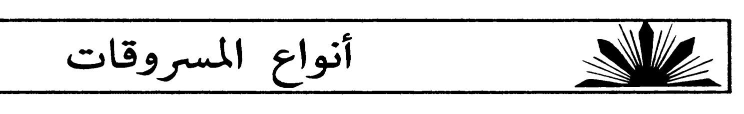
الخائن: هو الذي يضمر في نفسه ما لا يظهره، والمراد به هو الذي يأخذ المال خفية من مالكه مع إظهاره له النصيحة والحفظ.

النهَّاب: هو الذي يأخذ المال جهرة بمرأى من الناس، فيمكنهم أن يأخذوا على يديه، ويخلصوا حق المظلوم، أو يشهدوا له عند الحاكم.

الغاصب: هو الذي يغتصب المال من صاحبه وهو شاهد، لكنه لا يستطيع أن يمنعه.

النشال: هو من يشق جيباً أو كمّاً ويأخذ منه، أو يدخل يده ليسرق بها دون أن يشعر المسروق بذلك.

النباش: هو سارق أكفان الموتى بعد دفنهم.



أنواع المسروقات

1 - **سرقة المصحف**: لا تقطع يد سارق المصحف، لأنه سرق من أجل أن يقرأ فيه، وقيل: بل تقطع يد سارقه لأن المصحف مال متقوم.

2 - **سرقة المال من المدين**: لا تقطع يد السارق من مدِينه؛ لأنه يستعيد حقه أو بعض حقه وإن زاد عليه قليلًا.

3 - **سرقة الزوجة**: لا تقطع يد سارق زوجته، لأنه يدخل الحرز (أي: المكان الذي تحفظ فيه الأموال) من غير إذن، كما جرت العادة بين الناس على التبسط في المعاملة بين الرجل وأهل بيته.

4 - سرقة الخادم لسيده:

لا تقطع يد الخادم الذي يسرق سيده، ولا الضيف الذي سرق مضيفه، وقال الشافعي: «يجب القطع في

السرقة من الأقارب، وأحد الزوجين من الآخر، ما عدا قرابة الأصل والفرع، إذا سرق المال من المحرز عنه».

5 - **سرقة السيارات**: تقطع يد لص السيارات لأن الشارع حرز هذه السيارات، وهو مكان مأمنها ومبيتها.

6 - **سرقة الثمر المعلق**: لا تقطع يد سارق الثمر المعلق على الشجرة والحنطة في سنابلها، إذا لم يكن محرزاً، فإن أحرز وجب فيه القطع.

7 - **سرقة طير الشجر**: سارق الطير والتبن والخشب والحطب والقصب والحشيش والسمك والطين لا يعتبر سارقاً، لأن هذه الأشياء في أصلها مباحة للجميع اللهم إلا إن كان شيء منها محرزاً، وكان له قيمة في نفسه أي: يساوي مالًا منفقاً، فإن آخذها يعتبر لصّاً تقطع يده.

8 - **سرقة الصلاة**: سارق الصلاة هو من لا يؤديها حق أدائها، فيخطفها خطفاً، دون خشوع أو تمهل أو إتقان، فيجب على سارق الصلاة أن يحسن صلاته ليباركه الله، فقد روي أن رجلًا من الصالحين قرر الأطباء قطع ساقه؛ لأنه كان مريضاً بمرض خبيث، فقال لهم: إن كان ولا بد فاقطعوها وأنا في الصلاة.

وتم بترها وهو ساجد في صلاته، فما شعر بأدنى ألم، ذلك لأن الرجل كان يعيش مع الله بكل جوارحه ووجدانه.

9 - سرقات ضاحكة: من أكثر السرقات إثارة للضحك، تلك السرقة التي قامت بها عصابة من اللصوص، فقد دبروا وخططوا لسرقة أحد البنوك، وفي الساعة المحددة توجهوا في حزم وثبات إلى ذلك البنك، وهاجموا الموظفين فيه، وحاصروهم بالسلاح، وأمروا بفتح الخزائن وإخراج ما بها من أموال، كانت المفاجأة التي أذهلتهم، فإن تلك الخزائن الكبيرة لم يكن بها فلس واحد، بل كان بها «عيون» لقد كان هذا البنك خاصّاً بالعيون، تحفظ فيه العيون السليمة التي يأخذونها من الموتى، الذين تبرعوا بها في حياتهم، وقد أوصوا بأخذها بعد موتهم، وتحفظ تلك العيون في ذلك البنك، لمن يحتاج إليها من مرضى العيون، والمدهش في الأمر أن مدير البنك قد أقنع هؤلاء اللصوص بالتبرع بعيونهم للبنك بعد وفاتهم، ولم يتركهم يخرجون حتى كتب معه عقداً بذلك ووقعوا عليه.

10 - الخوذة المرشدة: ركب لص دراجته البخارية السريعة، ولبس في رأسه خوذة تغطي جميع أجزاء

رأسه، حتى لم يعد يظهر منها سوى عينيه فقط، وأمام أحد البنوك أوقف دراجته، ونزل عنها، ودخل البنك، ورفع مسدسه، وهدد الجميع طالباً النقود، فأعطوه ما يريد وتركوه، فخرج مسرعاً، وركب دراجته البخارية منطلقاً إلى منزله، وما إن فتح الباب حتى وجد الشرطة خلفه، يطالبونه بتسليم نفسه، وتسليم ما معه من نقود، فوقف مذهولًا؛ كيف وصل إليه رجال الشرطة بهذه السرعة؟! ناسياً أنه قد كتب اسمه وعنوانه بخط واضح كبير على خوذته، وعلى دراجته البخارية، فأصبح من السهل على أي إنسان أن يتبعه ويعرف بيته.



حكم السرقة

وقف الإسلام أمام جريمة السرقة وقفة حاسمة حازمة، فقد جعلها من الكبائر التي يجب فيها الحد، وأقام لها حدّاً صارماً ليكون رادعاً وزاجراً، وحدُّ السرقة هو قطع يد السارق.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[المائدة: ٣٨].

وقال ﷺ: **«إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه»**(١).

وكما وضع الإسلام حد السرقة، فقد جعل لتنفيذ الحد نصاباً واضحاً، وهو ربع دينار فصاعداً، قال ﷺ: **«تُقطع اليد في ربع دينار فصاعداً»**(٢).

قال أحد العلماء: وإذا سرق ربع دينار من العين، أو ثلاثة دراهم من الوَرِق (الفضة)، أو قيمة ثلاثة دراهم طعاماً قُطع، كما لا يكون القطع في مطلق السرقة؛ بل في سرقة شخص معين مقداراً معيناً من حرز معين (الحرز: هو المكان الذي يحفظ فيه الشيء)، ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه، فإن كان مفلساً تحلل من صاحب المال.

شروط إقامة الحد:

1 - السرقة:

السرقة بمعنى: أخذ المال على وجه الخفية والإستتار، فإن اختطف أو اختلس لم يكن سارقاً، ولا

(١، ٢) متفق عليهما.

تقطع يده، وإنما يعزر أو يحبس أو يضرب عقاباً له على فعله الأثيم.

2 - الإقرار بالسرقة:

أي: اعتراف اللص بسرقته، فإذا لم يعترف لا يقام عليه الحد، قال ﷺ: «**رأى عيسى ابن مريم - عليه السلام - رجلًا يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني**»(١).

وعن أبي الدرداء أنه أُتي بجارية سرقت، فقال لها: سرقت؟ قولي: لا. فقالت: لا، فخلى سبيلها.

وعن عطاء عن عبد الرزاق أنه قال: «كان من مضى يؤتى إليهم السارق فيقول: أسرقتَ؟ قل: لا. وسمى أبا بكر وعمر». وعن ابن أبي شيبة أن أبا هريرة أُتي بسارق، فقال: أسرقت؟ قل: لا، مرتين أو ثلاثة.

ومن هذا يتضح أنه يستحب تلقين ما يسقط الحد؛ عملًا بقول الرسول ﷺ: «**ادرؤوا الحدود بالشبهات**»(٢).

وعن أبي أمية المخزومي أن رسول الله ﷺ أُتي

---

(١) متفق عليه. (٢) الكامل لابن عدي.

بلص فاعترف، ولم يوجد معه متاع، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما إِخالك سرقت»**. قال: بلى. مرتين أو ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: **«اقطعوه، ثم جيئوا به»**، فقطعوه ثم جاؤوا به، فقال ﷺ: **«قل: أستغفر الله وأتوب إليه»**، ثم قال ﷺ: **«اللهم تب عليه»**(١).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أُتي بسارق قد سرق شملة، فقالوا: يا رسول الله إن هذا قد سرق. فقال رسول الله ﷺ: **«ما إخاله سرق»**. فقال السارق: بلى يا رسول الله. فقال ﷺ: **«اذهبوا به فاقطعوه، ثم احسموه، ثم ائتوني به»**، فقطع فأتي به، فقال ﷺ: **«تُب إلى الله»**، قال الرجل: قد تبت إلى الله. فقال ﷺ: **«تاب الله عليك»**(٢).

إياكم والشبهة

قال ﷺ: **«ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم»**(٣). وبناءً على هذا الحديث لا تقطع يد العبد إذا سرق من مال سيده، ولا الأب إذا سرق من

(١) أحمد. (٢) الدارقطني. (٣) الترمذي.

مال ابنه، ولا الإبن إذا سرق من مال أبيه، ولا الشريك إذا سرق من شريكه، كذلك أخذ المرأة من مال زوجها البخيل الذي لا يعطيها لا تعتبر سرقة، كما حدث مع السيدة هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان بن حرب حينما شكت إلى النبي ﷺ بخل زوجها وتقتيره، وهل يجوز لها أن تأخذ من ماله دون علمه، فقال ﷺ لها: «**خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك**»(١). وهذا دليل على أن ما فعلته ليس في باب السرقة.

***



الخيانة والإختلاس

الخائن والمختلس ليس بسارق فلا يقام عليه حد القطع. عن جابر أن النبي ﷺ قال: «**ليس على خائن ولا منتهب ولا جاحد ولا مختلس قطع**»(٢).

وروي عن عائشة - رضي الله عنها - أن امرأة كانت تستعير المتاع وتجحده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلُها أسامة، فكلموه، فكلم النبي ﷺ فقال: «**لا أراك**

---

(١) متفق عليه. (٢) الترمذي.

تكلمني في حدٍّ من حدود الله تعالى»، ثم قام ﷺ خطيباً فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها**»[١].

فهذه المرأة التي كانت تستعير المتاع إنما قطعت يدها لسرقتها، لا لجحدها المتاع.

* * *

المختلس

وهو: مَن يأخذ المال حين يغفل عنه مالكه، فالعتاب هنا على صاحب المال، لأنه فرط من ناحيته حتى تمكن المختلس من أخذ المال، فالمختلس ليس كالسارق بل هو بالخائن أشبه، فلا قطع عليه، وإنما يعزر، فيحبس أو يضرب كما أن المختلس يأخذ المال في حين الغفلة، فيمكن الاحتراز منه بالتنبه للمال وعدم الغفلة عنه.

* * *

(١) متفق عليه.



الغاصب

أما الغاصب فإنه أولى بعدم القطع من المنتهب، ويمكن كف عدوان هؤلاء جميعاً بالضرب والنكال والسجن الطويل، واسترداد المال المسروق منهم، ويلحق بالغاصب قاطع الطريق فحكمه حكم الغاصب.



النشال

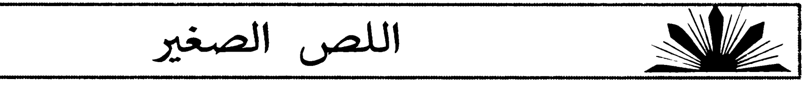
وهو: الذي يسرق من جيب الرجل أو كمه أو صفنه (الوعاء من أدم يُسقى به) سواء بالقطع أو بالشق أو بإدخال اليد في الجيب، وهذا النوع من اللصوص يجب تنفيذ حكم القطع فيه، لأنه سارق وإن اختلفت الطريقة.

والفرق بين السارق الذي تقطع يده والمختلس والمنتهب والغاصب الذين لا تقطع أيديهم، أن السارق لا يمكن الاحتراز منه، فإنه ينقب الدور ويكسر الأقفال، ولا يمكن لصاحب المال أن يحترز منه بأكثر مما قام به لحماية بيته وماله، فلو لم يشرع الإسلام حد السرقة لعظم الضرر، واشتدت المحنة، وذلك بخلاف المنتهب والمختلس الذين يمكن تلافي سرقاتهم باليقظة والحرص على المال.



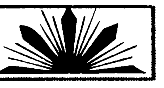
النباش

وهو: سارق أكفان الموتى، وقد اختلف الفقهاء في حكمه هل يجب عليه حد القطع أم لا؟ فقيل: لا يقطع، ولو كان القبر في بيت مقفل، لأن القبر ليس حرزاً بنفسه، إذ لا تحفظ فيه الأموال عادة. أما الجمهور فقد اتفقوا على أن تقطع يده، لأنه سارق، أو ملحق بسارق مال الحي. وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]. وقالت عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -: «سارق أمواتنا كسارق أحيائنا».



اللص الصغير

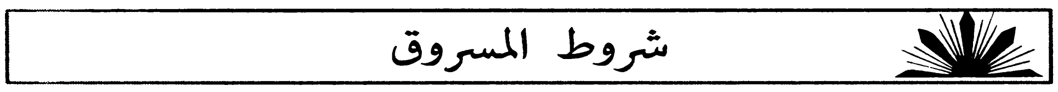
الطفل الصغير الذي لم يبلغ الحلم، هل يُعدُّ لصّاً إذا سرق؟ نعم يسمى لصّاً مهما اختلفت طريقة السرقة، سواء بالإختلاس أو: الاختطاف، ولكن لا يقام عليه الحد (وهو: قطع اليد) وإنما يعزر بأي: نوع آخر من أنواع العقاب كالحبس أو إدخاله دور الأحداث التي استحدثتها المجتمعات حالياً.



السارق

في يوم من الأيام دخل طفل صغير، لم يتعد السادسة من عمره، أحد المتاجر الكبيرة، ولم تلحظه كاميرات المراقبة لصغره وقصر قامته، وتوجه الطفل مباشرة نحو موظف الخزينة، ورفع مسدساً كبيراً في وجهه، فتح صاحب المتجر الخزينة وأخرج ما بها من مال وكان مبلغاً كبيراً، فطلب منه الطفل أن يضعه في كيس، فوضعه صاحب المتجر، ثم قدمه للطفل الذي خطفه وخرج مسرعاً إلى الشارع، ثم ركب دراجته وانطلق بها بعيداً، وتمكن رجال الشرطة من الوصول إلى منزل الطفل وسألوا عنه، وقد وقف أبواه يستمعان في ذهول إلى ما فعله ابنهما الذي دخل عليهما وهو يمسك في يده «آيس كريم» ويلوك في فمه لبانة، توجه إلى أقرب كرسي وجلس عليه دون أدنى مبالاة، وعندما سألوه عن أداة الجريمة - المسدس الذي استخدمه في السرقة - كانت المفاجأة التي أذهلت الجميع وأضحكتهم في نفس الوقت، إنه مسدس مائي، كان يلعب به الصبي مقلداً أحد الأفلام السينمائية التي شاهدها، وكانت المفاجأة الثانية أنهم

حينما سألوه عن النقود التي سرقها أجابهم بأنه أنفقها جميعها في شراء الحلوى والآيس كريم واللعب. ترى ما السبب في تلك الحادثة؟ إنه تقليد ذلك الطفل البريء لأحد أبطال ذلك الفيلم السينمائي، فَلْنَر إلى أي: مدى كان تأثير تلك الأفلام على أطفالنا؟



شروط المسروق

فكما بين الإسلام حد السرقة، وجعل للسارق شروطاً لكي يقام عليه الحد، فقد وضع للشيء المسروق شروطاً، إذا وجدت وجب تنفيذ الحكم، وهي:

1 - أن يكون المسروق مالاً متقوماً: فلو سرق إنسان خمراً، أو جلد ميتة، أو خنزيراً، فلا تقطع يده؛ لأن هذه الأشياء لا قيمة لها، ولا تساوي شيئاً من المال.

2 - أن يكون المال المسروق مقدراً: أي: له نصاب، فلا تُقطع السارق في الشيء البسيط الذي لا قيمة له.

3 - الحرز: والحرز هو: ما تحفظ فيه أموال الناس كالدور والخيام التي يسكنها الناس، ويحفظون فيها

أمتعتهم، وقد يكون الحرز بالحافظ الذي يجلس عليه ليحفظه كالكرسي أو: كالثوب.

ويشترط أن يكون المسروق مالًا محرزاً أي: سُرق من المكان المحفوظ فيه. قال ﷺ: **«لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل، فإذا أواه المُراح أو الجرينُ فالقطع فيما بلغ ثمن المجن»**(١).

فقد روي أن صفوان بن أمية - رضي الله عنه - كان نائماً في المسجد على عباءة له ثمنها ثلاثون درهماً، فجاء رجل فاختلسها منه، فأخذه إلى النبي ﷺ، فأمر به ليقطع، فقال صفوان: أتقطعه من أجل ثلاثين درهماً؟! أنا أبيعه وأُنسئه ثمنها (أي: أبيعه العباءة على أن يؤجل دفع ثمنها لي). فقال ﷺ: **«فهلا كان هذا قبل أن تأتيني به؟!»**(٢).

4 - **ثبوت السرقة**: تثبت السرقة عند القاضي بأمرين هما: البينة والإقرار، والبينة: بأن تضبط المسروقات مع اللص أو يُضبط متلبساً في حال السرقة، أو يقبض عليه وهو: يحملها بعد خروجه من الحرز (أي: المكان الذي سرق منه).

---

(١) مالك. (٢) أبو داود.

وقد أتفق العلماء على أنه إذا اشترك جماعة في سرقة فحصل لكل واحد منهم نصاب، فعلى كل واحد منهم القطع، وإذا لم يبلغ المسروق النصاب أو كان كل ما سرقوه نصاباً واحداً، فهناك خلاف في القطع، فبعض الفقهاء يرى أنه لا تقطع يد هؤلاء اللصوص لقول رسول الله ﷺ: «**لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً**»(١).



صفات النصاب

يشترط أن تكون الدراهم جيدة، فلو سرق اللص دراهم مزيفة أو سرق غير الدراهم، لا تقطع يده ما لم تبلغ قيمة المسروق عشرة دراهم جيدة، كما يجب أن تكون الدراهم وزن سبعة مثاقيل، لأن اسم الدراهم عند الإطلاق يقع على ذلك، ولأن هذا أوسط المقادير بين الدراهم الكبار والصغار التي كانت على عهد الرسول ﷺ.



نصاب المسروق

نصاب السرقة ربع دينار شرعي من الذهب أو

(١) متفق عليه.

ثلاثة دراهم خالصة من الفضة، وهذا على رأي الجمهور.

تكرار السرقة

تقطع يد السارق اليمنى عند السرقة الأولى، فإذا سرق مرة ثانية تقطع رجله اليسرى، ليكون القطع من خلاف.

والحكمة في ذلك أن السارق يعتمد في السرقة على البطش والمشي، فهو يأخذ المسروق بيده، وينتقل برجله، ولذا تعلق القطع بهما، وإنما قطع من خلاف؛ لئلا يفوته الإنتفاع بما تبقى له، وحتى لا تضعف حركته، فإذا عاد اللص للسرقة مرة ثالثة بعد قطع يده اليمنى ورجله اليسرى، لا يقطع بعد ذلك، ولكنه يوكل إلى من يضمنه، ويعزر ويحبس حتى يتوب، ويدل على ذلك ما روي عن علي - رضي الله عنه - أنه أُتي بسارق، فقطع يده، ثم أُتي به الثانية وقد سرق فقطع رجله، ثم أتي به الثالثة، فقال: لا أقطعه، إن قطعت يده فبأي شيء: يأكل، بأي شيء: يمسح - أي: بعد قضاء حاجته -، وإن قطعت رجله فبأي

شيء: يمشي، إني لأستحي من الله. فضربه بخشبة وحبسه.

***



سقوط الحد

يسقط الحد عن السارق بعدة أمور هي:

١ - تكذيب المسروق منه للسارق في إقراره بالسرقة بأن يقول: لم يسرق مني شيئاً.

٢ - تكذيب المسروق منه ببينة بأن يقول: شهد شهودي زوراً.

٣ - رجوع اللص عن الإقرار بالسرقة، وعندئذ لا يقطع ويضمن المال؛ لأن الرجوع عن الإقرار يقبل في الحدود، ولا يقبل في المال، لأن الحد يسقط بالشبهة ولا يسقط بالمال.

٤ - عندما يَرُد اللص المسروقات إلى صاحبها ومالكها قبل رفع الشكوى.

***



تأثير إقامة الحد على المجتمع

إن الله تعالى حين خلق الإنسان يسر له سبل العيش الكريم في الدنيا، ثم شرع له من الدين ما صان به كرامته، وحفظ عليه ماله وعرضه ونفسه، فجعل الاعتداء على النفس أو المال أو العرض جريمة خطيرة، وجعل لها عقوبتها الرادعة الزاجرة حتى لا يعبث المجرمون في الأرض فساداً، وحتى يضمن المجتمع الأمن التام لأفراده.

أما أن يُترك المجرم ليفر بجريمته وغنيمته التي اغتصبها من أموال الناس، أو أن يلقى في السجن لعدة سنوات، ليخرج بعدها حرّاً طليقاً ينعم بما سرق من أموال غيره ومتاعهم، فإنه ذريعة لأن يكثر السلب والنهب، بل وتكون عصابات من أعتى المجرمين وأخطرهم يهددون سلامة وأمن الإنسانية كلها.

نعم إن عقوبة «قطع يد السارق» شديدة الصرامة، لكنها هي: الوسيلة الوحيدة لتحقيق الأمن في المجتمع الإنساني، فإن تلك اليد السارقة يدٌ خائنة، والسرقة داءٌ قد تأصل فيها، فكان لا بد من استئصالها حتى لا يسري ذلك المرض في أجزاء الجسد كله، ففي الحد

رحمة باللص والمجتمع معاً، أما من يستبشعون هذا الحكم ويصفونه بالقسوة، فإنهم يطالبون بالرحمة لذلك اللص الذي لم يرحم المجتمع من شره وأذاه، إنهم لم يدركوا خطورة ترك المجرمين هكذا دون تنفيذ ذلك العقاب الزاجر، فبدونه يصبح أي: مجتمع غابة مليئة بالوحوش البشرية يأكل بعضها بعضاً، فما أعدلك يا إلهي في حكمك وقضائك؟!

آثار السرقة

1 - **إيقاع الأذى بالناس**: فالسرقة آفة من آفات كثيرة تصيب المجتمع، بل هي من أخطر الآفات على الإطلاق، وأي مجتمع معرض لأن يحوي داخله جماعات من اللصوص الذين يحترفون السرقة ويجعلونها مصدر الرزق، متجاهلين أن السرقة ليست مهنة، ولا عمل يعيشون عليه.

2 - **تعريض الناس إلى ضوائق صعبة**: فربما سرق اللصوص خزينة شركة كبيرة، واتهم فيها رجل شريف له مكانته في المجتمع، فضاع مستقبله وتحطمت أسرته وضاع أولاده. وقد يتعرض الناس إلى مواقف أكثر

صعوبة من موقف ذلك الرجل بسبب السرقة، وبسبب مجرم لم يجد من يضرب على يديه بقوة.

3 - لا يؤمِّن الناس السارق على شيء ولو كان بسيطاً.

4 - الخزي والعار وسواد الوجه الذي يصيب السارق، وتجنب الناس المعاملة معه.

5 - القطع وإقامة الحد: فللإسلام وقفته القوية الزاجرة أمام السرقة كجريمة، والسارق كمجرم يستحق العقاب، فجعل السرقة من الرذائل التي لا بد من محاربتها بكل الوسائل للقضاء عليها قضاءً مبرماً، لضمان مجتمع سوي آمن، فوضع للسرقة حدّاً وهو: قطع اليد، ووضح طريقة إقامته وشروطها، وذلك لضمان حفظ أموال الناس.

6 - عدم قبول الدعاء: فالله لا يقبل الدعاء من إنسان يأكل حراماً، ويشرب حراماً، ويلبس حراماً.

7 - الخسف والعذاب الأليم: فغاصب الأرض بصفة خاصة له عقوبة عظيمة في الآخرة؛ وذلك لأن من ملك أرضاً ملك أسفلها إلى منتهى الأرض، وله أن يمنع من حفر تحتها سرباً أو بئراً بغير رضاه، ولذا

روي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: **«من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه، خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»**(١).

وعن سعيد بن زيد - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من ظلم من الأرض شيئاً طُوِّقه من سبع أرضين»**(٢).

8 - السارق يعتبر خائن غادر: خان أمانة الآمن في بيته، وغدر بمن يعرف، فسرق ماله، وعقوبة الغدر يوم القيامة شديدة. قال ﷺ: **«إن الغادر يُرفع له لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان»**(٣).

* * *

التحذير من السرقة

إن السارق حين يفكر في السرقة، ليس لحاجته وإنما لأنه يستقل ما عنده من مال حلال، ويبتغي غيره، فيسرق ليزيد ماله ويتسع ثراؤه، وقد حَدَّ الإسلام حدّاً ليحارب به هذا المرض اللعين - السرقة - لكي يستأصله من المجتمع نهائيّاً، فكان قطع يد

---

(١) البخاري. (٢، ٣) متفق عليهما.

السارق هو الحد والعقوبة الرادعة. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]. فهذا الحكم زاجر لمن تسول له نفسه أن يمد يده على ملك غيره ليسرق ماله.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتُقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»(١).

وعن عمرة بنت عبد الرحمن أن سارقاً سرق أُترجَّة في زمن عثمان ابن عفان - رضي الله عنه -، فأمر بأُترجَّة أن تقوَّم فقوِّمت ثلاثة دراهم من صَرْف (المبادلة) اثني عشر درهماً بدينار، فقطع عثمان يده(٢).



كيف نقضي على السرقة؟

1 - تحري الحلال: المسروق مال حرام، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به، وعلى المسلم أن يتحرى الرزق الحلال دائماً، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما -

(١) متفق عليه. (٢) مالك.

أنه تلا هذه الآية عند رسول الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: ١٦٨].

فقام سعد ابن أبي وقاص - رضي الله عنه - فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة. فقال ﷺ: **«يا سعد! أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه فما يتقبل منه أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من السحت فالنار أولى به»**(١).

2 - **الإبتعاد عن الحرام والطمع**: حذر الرسول ﷺ من الطمع فقال: **«إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر»**(٢).

وقال ﷺ: **«استعيذوا بالله من طمع يهدي إلى طبع، ومن طبع يهدي إلى غير مطمع، ومن طمع حيث لا طمع»**(٣).

والإنسان قد يسرق بسبب الطمع، فإنه قد يطمع في مال غيره ويريد أن يأخذه بأي وسيلة، وتكون الوسيلة الوحيدة هي السرقة، وهنا نجد رسول الله ﷺ يرشدنا إلى أقل القليل من الزاد في الدنيا، فليبتعد

---

(١) ابن مردويه. (٢) الطبراني. (٣) أحمد.

العاقل عن السرقة طمعاً في أن يحوز كل خيرات الدنيا ويكثر في بيته من أموالها.

وقال عمر - رضي الله عنه -: «إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإن من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم».



وصايا

❊ تحرى الرزق الحلال، واعلم أن رزقك لا يصيب غيرك، فربما تعجل اللص وسرق ما قد يجعله الله من نصيبه بالحلال. دخل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - المسجد، وقال لرجل كان واقفاً على باب المسجد: أمسك بغلتي، فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة، فخرج علي - رضي الله عنه - وفي يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على إمساكه بغلته، فوجد البغلة واقفة بغير لجام، فركبها ومضى، ودفع لغلامه الدرهمين يشتري بهما لجاماً، فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين، فقال علي - رضي الله عنه -: «إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له».

❊ اعلم أن سرور الدنيا في الرضا، قيل للإسكندر: ما سرور الدنيا؟ قال: الرضا بما رزقت منها. قيل: فما غمها؟ قال: الحرص عليها.

❊ كن مستقيماً شريفاً عفيفاً قانعاً نزيهاً.

❊ تذكر دائماً عقوبة السرقة في الدنيا والآخرة.

* تجنب مواقع الشبهات، واحذر مصاحبة السارقين.

* لا تسرق حتى لو مت جوعاً، فلا تضمن إلى متى تعيش.

* لا تعرض نفسك للخزي والمقت من الناس الذي يلقاه اللص بعد قطع يده.

* اعلم أن السرقة إحدى الكبائر في الإسلام، وهي توجب النار في الآخرة والعار في الدنيا.

* اعلم أن السارق يُحرم من إجابة الدعاء، فلا يستجيب الله له دعوة لأن مطعمه ومشربه وملبسه من حرام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

احذر العنف والعدوان

تمهيد

كرم الله عز وجل الإنسان، وأحسن صورته، ومنحه من بين المخلوقات عقلًا مفكراً، وأعطاه الحرية التي تمكنه من تغيير الواقع الذي يعيش فيه، وضبط ظواهر الطبيعة بمعرفة قوانينها، وفي سعي الإنسان الدائب نحو تحقيق تلك الأهداف، فإنه قد يضل الطريق، وتأمره نفسه بالسوء، فينحرف عن الطريق القويم، ويظهر في سلوكه العنف والعدوان تجاه الآخرين، فيأتي أفعالًا قبيحة لا يرضاها الله.

وقد وضع الله تعالى عقوبة قاسية للذين يعتدون على الغير فقال: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

وحذر النبي ﷺ من العنف والعدوان، فقال ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»**(١).



تعريف العنف والعدوان

العنف والعدوان في اللغة:

العنف: هو الشدة والقسوة، والعدوان: هو الاعتداء ومجاوزة الحد، يقال: عدا عليه عدواناً: أي: ظلمه وتجاوز الحد.

العنف والعدوان في الشرع:

العنف: هو عدم الرفق وفقدان التلطف، وهو التهديد باستخدام أو الاستخدام الفعلي للقوة ضد شخص أو مجموعة أشخاص أو مجتمع مما يؤدي إلى إصابة الآخرين.

والعدوان: هو تجاوز حدود الشرع في المعاملة والخروج عن العدل فيها، والعدوان قد يكون بالقول

(١) متفق عليه.

كما يكون بالفعل، والعنف صورة من صور العدوان، والعدوان أسوأ الإعتداء في قول أو فعل أو حالٍ، والعنف والعدوان يبدآن بالغضب والإنفعال الداخلي، ثم التنفيس بفاحش القول، ثم استخدام اللسان واليد.



أنواع العدوان ومظاهره

للعنف والعدوان أنواع عديدة هي:

1 - **العدوان على حدود الله**: ويكون بعدم الإلتزام بأوامره، وعدم الإنتهاء عن نواهيه، ويكون بتحليل حرامه، وتحريم حلاله.

ومن مظاهر هذا العدوان: الشرك بالله، وعدم أداء فروض الدين كالصلاة والزكاة والصيام والحج مع القدرة والاستطاعة، وعدم اجتناب ما نهى الله عنه؛ كقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وعقوق الوالدين، وشرب الخمر والمخدرات، وأكل الميتة، وأكل لحم الخنزير.

2 - **العدوان على النفس**: ويكون بإتباع هواها، والسير وراء شهواتها، والإنسياق وراء ما تأمر به من سوء. ومن مظاهر العدوان على النفس: عدم التخلق

بالأخلاق الإسلامية، وعدم التأدب بآداب الدين، وتحميل النفس بما لا تطيق بالإفراط في العمل والعبادة، أو بالتفريط فيهما، أو إيذاؤهما بالتخلص منها بالإنتحار، أو بالإساءة إليها بشرب الخمر، والمخدرات، والتدخين.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

3 - **العدوان على الناس**: ويكون بالإساءة إليهم بالقول أو بالفعل، ومن مظاهر هذا الاعتداء: الغيبة والنميمة والكذب والسب والسرقة والقذف والقتل. قال ﷺ: «**إن شر الناس منزلة عند الله من تركه الناس اتقاء فحشه**»(١).

4 - **العدوان على الحيوان**: ويكون بالإساءة إليه والإضرار به، ومن مظاهره: حبس الحيوان حتى الموت دون طعام أو شراب، وذبحه دون حاجة، وتحميله ما لا يطيق، وضربه وتعذيبه.

---

(١) البخاري.

وقد حرم الإسلام العدوان على الحيوان، ونهانا عن تعذيبه أو لعنه وحذرنا من ذلك، وأمر بالرفق به، قال ﷺ: «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب منها، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي، فنزل البئر، فملأ خفَّه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له**». قالوا: يا رسول الله! وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال ﷺ: «**في كل كبد رطبة أجر**»(١).

وقال ﷺ: «**عُذِّبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»(٢).

5 - **العدوان على البيئة:** العدوان على البيئة هو التعدي عليها وتخريبها وتدميرها، وتشويه جمالها بالهدم والقطع. ومن مظاهره: قطع الأشجار، والتلوث، والإسراف في الماء. وقد حث الإسلام على العناية بالبيئة وأمرنا بالنظافة، ونهانا عن العدوان عليها، فقال ﷺ: «**وإِماطة الأذى عن الطريق صدقة**»(٣).

(١، ٢) متفق عليهما. (٣) البخاري.

وقال ﷺ: **«بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخرَّه، فشكر الله له فغفر له»**[١].

وأنواع العدوان وأشكاله متداخلة، فالعدوان على النفس هو: عدوان على حدود الله عز وجل، والعدوان على الناس هو عدوان على حدود الله عز وجل، وكذلك العدوان على الحيوان وعلى البيئة.



مظاهر العنف والعدوان

1 – القتل:

القتل العمد جريمة كبرى، ومن السبع الموبقات التي يعاقب الله عليها في الدنيا والآخرة؛ لأنه اعتداء على صنع الله في الأرض، وتهديد لأمن الجماعة وحياة المجتمع. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣].

ودلت جريمة ابن آدم «قابيل» على أن القتل اعتداء على الإنسانية، قال سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ

---

(١) البخاري.

نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. وجزاء القاتل في الدنيا هو: القصاص، وفي الآخرة: العذاب والغضب واللعنة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. فالقاتل يقتل، ولا يقتل غير القاتل، والرجل إذا قتل امرأة يقتل، والمرأة إذا قتلت الرجل تقتل.

وحددت السنة أيضاً عقوبة القتل العمد؛ فقال ﷺ: «**العمد قود إلا أن يعفو ولي المقتول**»(١). أي: أن القتل العمد يوجب القَود (أي: القصاص) إلا عند العفو.

وقال ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(٢).

وقال ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**». قيل: يا رسول الله! هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال ﷺ: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»(٣).

---

(١) ابن أبي شيبة. (٢) الجماعة. (٣) النسائي.

2 - إيقاع الأذى بالناس:

ومن مظاهر العنف والعدوان إيقاع الأذى بالناس، مثل: الضرب والسب، يروى أن رجلًا عضَّ يد رجل، فانتزع الرجل يده، فسقطت أسنان العاض، فطلب النصر من النبي ﷺ، فقال ﷺ: «**ما تأمرني؟ تأمرني أن آمره أن يدع يده في فيك تقضمها كما يقضم الفحل؟ ادفع يدك حتى يعضها ثم انتزعها**»(١). وأهدر النبي ﷺ أسنان الرجل.

3 - شرب الخمر:

شارب الخمر يعتدي على حد من حدود الله عز وجل، ويعتدي على نفسه، وعلى أسرته ومجتمعه، لأن الخمر تفقد الإنسان صوابه وعقله، وتضرُّ صحته وجسمه، وتهلك ماله، مما يدفعه إلى انتهاك المحرمات، فيضر بالآخرين.

ولشدة ضرر الخمر حرمها الله عز وجل في كتابه الكريم واصفاً إياها بالرجس، فقال سبحانه: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة: ٩٠]. وحرمها

---

(١) مسلم.

النبي ﷺ فقال: «**كل مسكر خمر، وكل خمر حرام**»[(١)]. وما يصدق على الخمر يصدق على جميع أنواع المخدرات.

وحد شارب الخمر هو الجلد، قال ﷺ: «**من شرب الخمر فاجلدوه**»[(٢)].

وعن أنس قال: «جلد النبي ﷺ في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر أربعين»[(٣)].

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في جلد شارب الخمر: «جلد رسول الله ﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكلٌّ سُنَّة، وهذا أحب إلي»[(٤)].

4 - الزنى:

الزِّنى عدوان على المجتمع، وهو حرام وفاحشة عظيمة ومن الكبائر، قال تعالى. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا

---

(١) مسلم.

(٢) أبو داود والنسائي.

(٣) البخاري.

(٤) مسلم.

ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

وحَدُّ الزنا وعقوبته الجلد للبكر والرجم للمحصن، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢].

5 - السرقة:

السرقة عدوان على مال الغير، وأخذه خفية واستتاراً، وهي محرمة شرعاً بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وحد السرقة قطع يد السارق، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»(١).

وعن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: قال النبي ﷺ: «**تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً**»(٢).

وأكد النبي ﷺ على عدم التهاون في إقامة حد

(١، ٢) البخاري.

السرقة، وكراهية الشفاعة في الحد، فعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؟ فكلم أسامة رسول الله ﷺ، فقال ﷺ له: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**». ثم قام فخطب فقال: «**يا أيها الناس! إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**»(١).



حكم العنف والعدوان

العنف والعدوان حرام بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، لأنه من الكبائر المهلكات.

قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» (المهلكات)». قالوا: يا رسول الله! وما هُنَّ؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم**

---

(١) متفق عليه.

الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[١].

وقال ﷺ: **«من حمل علينا السلاح فليس منا»**[٢].

الدفاع الشرعي:

أولاً: الدفاع عن النفس:

يباح الدفاع الشرعي عن النفس، ولا مسؤولية تقع على المدافع عن نفسه، من الناحيتين المدنية والجنائية، إلا إذا تجاوز حدود الدفاع المشروع، فيصبح عمله جريمة يسأل عنها، وعليه القصاص.

قال ﷺ: **«من قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»**[٣].

وفي هذا الحديث دليل على جواز الدفاع عن الدين والنفس والمال والعرض؛ لأن الرسول ﷺ عندما جعل المدافع شهيداً دل على أن له القتل والقتال.

ثانياً: الدفاع عن الغير:

حكم الدفاع عن الغير هو: الوجوب عند الإستطاعة، لأن أساس هذا الدفاع هو: الحفاظ على

---

(١) البخاري. (٢) متفق عليه. (٣) الترمذي.

المحرمات، ولولا التعاون لذهبت أموال الناس وأنفسهم، لأن قطاع الطرق مثلاً إذا انفردوا بأخذ مال إنسان، ولم يُعنه غيره، فإنهم سوف يأخذون أموال الكل واحداً بعد الآخر، ومن هنا وجب التعاون لرد العدوان. قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وقال ﷺ: «**انظر أخاك ظالماً أو مظلوماً**». قيل: كيف أنصره ظالماً؟ قال: «**تحجزه عن العدوان، فإن ذلك نصره**»(١).



التدرج في دفع العدوان

إذا وقع عدوان أو عنف على الإنسان، فعليه أن يتدرج في دفعه، فيبتدئ بالأخف فالأخف، فإن أمكن دفع المعتدي بكلام واستغاثة الناس حَرُمَ عليه الضرب، وإن أمكن الدفع بضرب اليد حَرُمَ استخدام السوط، وإن أمكن الدفع بالسوط حَرُمَ استعمال العصا، وإن

(١) البخاري.

أمكن الدفع بقطع عضو حَرُمَ القتل، وإن لم يكن الدفع إلا بالقتل أبيح للمدافع القتل؛ لأنه من ضرورات الدفاع عن النفس، فإن شهر عليه سيفاً أبيح للمدافع أن يقتله، لأنه لا يقدر على الدفع إلا بالقتل، إذ لو استغاث بالناس لقتله قبل أن يلحقه الناس.

* * *



التحذير من العنف والعدوان

العدوان خلق ذميم، وسلوك سيئ حذرنا منه الله عز وجل كما حذرنا منه النبي ﷺ.

أولاً: تحذير القرآن من العنف والعدوان:

حذرنا الله سبحانه وتعالى من الإعتداء أو العدوان، ونهانا عنه، وجعله صفة من صفات الظالمين المعتدين، يجازون عليها بالخلود في النار.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

وقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

فالأمر بالتعاون على البر والتقوى، والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان هو: ركن من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن الكريم؛ لأنه يوجب على الناس أن يعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد عن أنفسهم.

وأكد الله سبحانه وتعالى تحذيره من العدوان، وخاصة العدوان على حدود الله، في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال سبحانه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقص علينا المولى سبحانه حياة الأمم السابقة التي لم يردعها رادع من دين أو ضمير، بل سعت في الأرض فساداً وعدواناً، فكان جزاؤها العذاب المبين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

ونهانا الله عز وجل عن التناجي بالإثم والعدوان، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟

بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩].

ثانياً: تحذير الرسول ﷺ من العنف والعدوان:

حذرنا النبي ﷺ من العدوان بجميع أشكاله وصوره سواء كان عدواناً باللسان أم عدواناً باليد، قال ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه**»[(١)].

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قالوا: يا رسول الله! أي الإسلام أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[(٢)].

وبين النبي ﷺ حرمة الدماء والأعراض والأموال، فقال ﷺ في حجة الوداع: «**إن الله تبارك وتعالى قد حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم - إلا بحقها - كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلغت؟** (قالها ثلاث مرات)». قالوا: ألا نعم[(٣)].

وبين النبي ﷺ حالة الإنسان الدينية وهو يعتدي على الآخرين، فقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني**

(١، ٢) البخاري. (٣) البخاري.

وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينهب نُهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن»(١).

وبايع النبي ﷺ الصحابة على عدم الاعتداء في أي صورة من صوره.

فعن عُبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: «**تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه»**(٢).

ونهى النبي ﷺ عن كل ما يؤدي إلى العنف والعدوان، فقال ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، التقوى هاهنا** (وأشار إلى قلبه ثلاث مرات) **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه**

---

(١) البخاري. (٢) مسلم.

المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[١].

والنجش: أن يزيد الرجل في سلعة يُنادي عليها في السوق، ولا رغبة له في شرائها، بل يقصد أن يغرَّ غيره، وهذا حرام.

ولأن العدوان يأخذ أشكالًا وصوراً عديدة، فإن النبي ﷺ قد حذرنا منه في أحاديث كثيرة، فلم يترك صورة من صور العدوان إلا نبهنا إليها.

- **النهي عن العنف**: عن عائشة - رضي الله عنها -أن فرقة من اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السَّام (الموت) عليكم. فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. فقال ﷺ: **«مهلًا يا عائشة، عليك بالرفق وإياكم والعنف والفحش»**. فقالت عائشة: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال ﷺ: **«أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيَّ»**[٢].

- **التحذير من العدوان في الصدقة**: العدوان في الصدقة هو: إنقاصها، أو صرفها في غير مصارفها الشرعية.

---

(١) مسلم. (٢) البخاري.

فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**المعتدي في الصدقة كمانعها**»(١).

والمعتدي في الصدقة قيل: هو الذي يعطي الصدقة في غير المصرف. وقيل: هو الساعي الذي يأخذ أكثر أو أجود من الواجب.

- **التحذير من العدوان على الآخرين**: عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**». قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك من أجل أن يطعم معك**». قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»(٢).

فالذنب الأعظم هو: الاعتداء على حق الألوهية لله تعالى.

- التحذير من العدوان في الدعاء:

نهانا النبي ﷺ عن العدوان في الدعاء، فقال ﷺ: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة**

---

(١) أبو داود والترمذي.

(٢) البخاري.

رحم، ما لم يستعجل»[١].

وسمع عبد الله بن مُغَفَّل ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: أي بُني! سَلِ الله الجنة وعُذ به من النار، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**سيكون قوم يعتدون في الدعاء**»[٢].

- **التحذير من العدوان في الوضوء**: العدوان في الوضوء يكون بعد إسباغه، وعدم التزام فرائضه وسننه.

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء فأراه النبي ﷺ الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: «**هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم**»[٣].

- **التحذير من العدوان على الحيوان**: حذرنا النبي ﷺ من العدوان على الحيوانات.

---

(١) مسلم.

(٢) ابن ماجه.

(٣) النسائى وابن ماجه.

فعن سهل بن الحنظلين - رضي الله عنه - قال: مر رسول الله ﷺ ببعير قد لصق ظهره ببطنه، فقال: «**اتقوا الله في هذه البهائم المُعجمة** (التي لا تنطق)، **فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة**»(١).

وعن عبد الله بن جعفر - رضي الله عنه - قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم، فأَسَرَّ إليَّ حديثاً لا أُحدث به أحداً من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفاً (حائطاً أو سوراً). قال: فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حَنَّ وذَرَفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذِفرَاه (عظمة خلف الأذن)، فقال: «**من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟**». فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله.

فقال ﷺ: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها، فإنه شكى إليَّ أنك تُجيعه وتُدئِبه** (تتعبه)»(٢).

---

(١) أبو داود.

(٢) أبو داود.



آثار العنف والعدوان

يترتب على العنف والعدوان بمختلف صوره وأنواعه آثار في الدنيا والآخرة، ومن هذه الآثار:

1 - غضب الله تعالى:

المعتدي لا يحب الله، بل يبغضه ويمقته، ويغضب عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

وقال تعالى فيمن يرمي المحصنات المؤمنات بالإثم والعدوان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

2 - القصاص:

إذا وقع العنف والعدوان على أحد فله أن يرد عليهما بالمثل، وهذا هو القصاص، ولا يقوم به في حالة الجنايات والحدود إلا ولي الأمر، أو من ينوب عنه.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقال سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

3 – الطبع على القلب:

المعتدي يطبع الله على قلبه، فلا يرى الحق فيتبعه، ولا يميز الباطل فيجتنبه، لأنه اتبع هوى النفس وشهواتها، واستحب العمى على الهدى، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: ٧٤].

4 – ضنك المعيشة:

الذي يسلك مسلك العدوان، ويعرض عن التقوى وعن ذكر الله، أوعده الله عز وجل بضنك المعيشة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

5 - كراهية الناس:

المعتدي على الناس لا يلقى منهم غير الصدود والكراهية، لأنه بعدوانه عليهم يسلبهم حقّاً لهم، ويعرضهم للخطر والألم، فيتجنبونه ويبتعدون عنه.

6 - الخوف والقلق:

العدوان يجر على صاحبه الخوف والرعب والقلق، فالذي يلجأ للعنف والعدوان دائماً محاصر بالوساوس والمخاوف والقلق، فلا يأمن لأحد حتى لو كان أقرب أصدقائه؛ لأنه بعدوانه على حدود الله، فقد ظلم نفسه. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١].

7 - العذاب يوم القيامة:

الذي يتعدى حدود الله، ولا يتوب من ذلك له يوم القيامة النار وبئس المصير، قال تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۞ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [ق: ٢٤، ٢٥].

***



أسباب العنف والعدوان

1 – البعد عن الدين:

كلما ابتعد الإنسان عن الدين، وضعف عنده الوازع الديني اقتربت منه نوازع الشر والعدوان، كذلك الفهم الخاطئ للدين يدفع إلى العنف والعدوان.

2 – الغضب:

الغضب من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى ارتكاب الإثم والعدوان، وإيقاعه في الحماقات.

3 – التهور والطيش:

التهور والطيش والعجلة وعدم التأني في الأمور يدفع الإنسان إلى العنف والعدوان، لأن العجلة من الشيطان، قال ﷺ: «**التأني من الله والعجلة من الشيطان**»[١].

4 – إدمان المخدرات وشرب الخمر:

إدمان المخدرات وشرب الخمر من العوامل الرئيسية للعنف والعدوان، لأن المدمن لا يكون واعياً لتصرفاته، ويكون فاقد التمييز.

---

(١) أبو يعلى.



كيف نتجنب العدوان؟

1 - التمسك بالدين والتقوى:

العدوان يضاد التقوى ويناقضها، والتقوى هي: السبيل الأمثل لتجنب العدوان والقضاء عليه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

2 - التقرب إلى الله:

قال رسول الله : «**إن الله قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشي أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله**

ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[١].

3 – ابتغاء الفضل والأجر من الله:

قال ﷺ في فضل من ترك العدوان والفواحش: **«سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه، ورجل قلبه معلق في المسجد، ورجلان تحابا في الله، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه»**[٢].

4 – تجنب أسباب العدوان:

تجنب العدوان يكون بتجنب الأسباب التي تؤدي إليه، كالغضب والانتقام والاعتداء والمنازعات والمشاجرات والأمراض النفسية والطمع والابتعاد عن الخمر والمخدرات وغيرها مما يؤدي إلى العدوان.

(١، ٢) البخاري.



وصايا

- اعلم أن العدوان محرم شرعاً، فلا يجوز لك أن تعتدي على الغير سواء بالقول أم بالفعل.

- تجنب الأسباب التي تؤدي بك إلى العدوان كالغضب. قال ﷺ: «**لا تغضب**»، وكررها ثلاث مرات[١].

- اعلم أنه كما تدين تدان، وأن الأيام دول بين الناس، فلا يغرنك شبابك وقوتك وعقلك، فتعتدي على الناس، حتى لا تذق من نفس الكأس حين تذهب عنك القوة، ويهرب منك الشباب.

- لا تعن أحداً على العدوان، واعلم أن نصرك لأخيك هو أن تردعه عن عدوانه ولا تعينه عليه.

- قل كما علمنا رسول الله ﷺ: «**أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أُظلم، أو أعتدي أو يُعتدى علي، أو أكتسب خطيئة محيطة أو ذنباً لا يغفر**»[٢].

---

(١) البخاري.

(٢) أحمد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

احذر الجبن

تمهيد

أراد الله تعالى من عباده المؤمنين أن يكونوا أقوياء شجعاناً في كل ميدان يقفون فيه، وفي كل مجال هم فيه متسابقون، بل في كل شأن من شؤون حياتهم.

ويفهم هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وهذا يعني: أن الجبن صفة مذمومة في الإسلام، لا يعرفها أقوياء الإيمان، الذين يستمسكون بالعروة الوثقى، وكيف يجبن مسلم يستمد عونه وقوته من القوى العزيز؟!

إن المسلم الحق لا يتطرق إليه جبن ولا خور،

لأنه يؤمن أن ما يقع في كون الله إنما هو بقدره وإرادته، وأن ما أصابه لم يكن ليخطأه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيسير في الحياة قويّاً شجاعاً، خائفاً من الله وحده، لا يخاف أحداً من البشر.

***



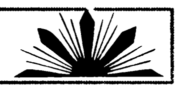
تعريف الجبن

الجبن لغة:

تدور مادة (ج ب ن) حول معنى التهيب والجبن، بمعنى: أن يتهيب الإنسان الإقدام على ما لا ينبغي أن يخاف منه. يقال: جبن من كذا: تهيب أن يقدم عليه. ويقال: جَبُن وجَبَن جبناً، وجَبُن جُبناً وجبانة، فهو جبان، وهي: جبانة، والجبان: ضد الشجاع.

الجبن شرعاً:

هو: الجزع عند المخاوف، والإحجام عما تحذر عاقبته، أو لا تؤمن مغبته.



أقسام الجبن وأشكاله

تتعدد الأشكال التي يظهر فيها الجبن، ومن ذلك ما يلي:

الجبن في الحروب:

عاب الله تعالى على أولئك الجبناء الذين يتمسكون بمتاع الحياة الزائل، فيتركون الحرب هاربين فارين، ويساعدهم في ذلك طائفة من المنافقين.

ففي غزوة الأحزاب جاء من يعتذر إلى رسول الله ﷺ مدعياً كذباً وزوراً أن بيوتهم عورة غير محصنة، فسهل أن يسرقها أي: لص، وكان هذا الزعم حجة واهية كي يفروا من قتال المشركين في غزوة الأحزاب، فكشف الله تعالى حقيقة أولئك المنافقين لرسوله ﷺ حتى يكون على بينة من الأمر.

فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۞ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٣، ١٤]. فلو دخل العدو المدينة من كل ناحية، وطُلب من أولئك المنافقين أن يرتدوا عن الإسلام لفعلوا، لأن الجبن قد ملك قلوبهم.

ويصور القرآن الكريم صورتهم هذه وهم ما زالوا في المدينة، فكيف بحالهم وهم في خضم المعركة؟! إنه الجبن ووهن العقيدة وضعف الإيمان وخور القلب.

ثم يخبرهم الله تعالى أن هذا الفرار لا ينفعهم، فالموت قادم لا محالة لكل إنسان، فإن قدر الله هو المسيطر على الأحداث، يدفعها في الطريق المرسوم لها، وينتهي بها إلى النهاية المحتومة، فالموت والقتل قدر لا مفر من لقائه، في موعد لا يتقدم ولا يتأخر، ولن ينفع الفرار والجبن في دفع القدر المحتوم، فإذا فروا فإنهم ملاقون حتفهم المكتوب، في موعده القريب: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٦، ١٧].

2 - الجبناء وقت السلم:

ثم يرسل الله صورة للمعوقين الذين يقعدون عن الجهاد، ويدعون غيرهم إلى القعود، فهذا النموذج من الناس يغلب عليه الجبن والفزع في ساعة الشدة والإنتعاش، وسلاطة اللسان عند الرخاء، والشح عن الخير والضن ببذل أي جهد فيه، والجزع والاضطراب عند توهم الخطر من بعيد: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٨، ١٩].

وقد وصل جبنهم إلى حد لم يستطيعوا معه أن يصدقوا بهزيمة الأحزاب، وأنه قد ذهب الخوف، وجاء الأمان، وتمنى هؤلاء الجبناء لو أنهم لم يكونوا من أهل المدينة يوماً من الأيام حتى لا يتعرضوا لمثل هذا اللقاء، ولا يشاركون أهل المدينة في حياة ولا في مصير، فهم يتمنون هذا مع أنهم قاعدون بعيدون عن المعركة، لا يتعرضون لها مباشرة، إنما الذي دفعهم لهذه الأماني الخوف والفزع.

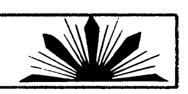
قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠].

وإن كان القرآن الكريم قد ذكر لنا هذا الصنف من الناس الذي غلب عليه الجبن وطغى على حياته في

ذلك المجتمع المسلم أيام رسول الله ﷺ، فإن هذا الصنف الجبان يتكرر في كل جيل، بنفس الملامح، وذات السمات.

3 – الجبن عن قول الحق:

والجبن يكون في ميدان القول، كما يكون في ميدان العمل، فربما يدعى الإنسان لكلمة الحق، فيخفيها، خوفاً من إنسان أن يؤذيه إذا قال الحق، وكم تضيع الحقوق بسبب الجبن عن قول الحق، ولذا فقد اعتبر الإسلام قول الحق نوعاً من الجهاد الذي يثاب عليه الإنسان، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»**(١).



حكم الجبن

الجبن: من الصفات المذمومة، وقد يصل في كثير من الأوقات إلى درجة الحرمة.

يقول تعالى ناهياً المجاهدين أن يجبنوا في مجال

(١) الترمذي وأبو داود.

القتال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

كما نهى الرسول ﷺ عن ذلك، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: **«شر ما في الرجل شُحٌّ هالع، وجُبن خالع»**(١).

ويرتبط بحكم الجبن ما يترتب عليه من آثار ضارة، يعود ضررها على الفرد والأسرة والمجتمع؛ من ضياع لشخصية الإنسان، وتفكك للأسرة، وتفتت للمجتمع، وانتشار الفساد فيه بسبب الجبن عن الوقوف ضد هذا الفساد ومحاربته بكل وسيلة مشروعة.

فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**(٢).

وعن حذيفة قال: قال ﷺ: **«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث**

---

(١) أحمد. (٢) مسلم.

عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[(١)].



التحذير من الجبن

حذر الله تعالى من الجبن، وجعله من الصفات التي يذم صاحبها ويلام عليها، بل ربما يعاقب إذا ترتب عليها ضرر، سواء كان هذا الضرر يتعلق به شخصياً، أم يتعدى إلى أهله، أو وطنه، أو دينه.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

فالله تعالى يأمر المؤمنين أن يثبتوا عند لقاء العدو، ويحذرهم من الجبن الذي يؤدي إلى الفرار والتولي، بل يجب عليهم ألا يخافوا الهزيمة من الأعداء.

التولي يوم الزحف:

لقد جعل الرسول ﷺ التولي يوم الزحف، الذي

---

(١) الترمذي.

هو النابع من الجبن، كبيرة من الكبائر التي يحاسب عليها الإنسان حساباً شديداً.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قيل: يا رسول الله**!** وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(١).

القرآن ينفر من الجبن:

والقرآن الكريم ينفر النفس البشرية من الجبن:

قال تعالى: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال: ١٦].

وهذا تعبير عن الهزيمة في صورتها الحسية، مع التقبيح والتشنيع والتعريض بإعطاء الأدبار للأعداء!

وهكذا يثير هذا التعبير شعور الاستقباح والاستنكار للجبن الكامن في النفس، والذي يترجم عنه بالتولي يوم الزحف.

---

(١) متفق عليه.

الجبن نقص للرجولة:

ويجعل الرسول ﷺ الجبن من أقبح الصفات التي يوصف بها الإنسان، لأنها تشينه بين الرجال، فالرجل الحق هو: الذي لا يجبن في أي: موقف من المواقف، فعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد، وإنما أنتم ولد آدم طفّ الصاع، لم تملؤوه، ليس لأحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح، حسب الرجل أن يكون فاحشاً بذيئاً بخيلًا جباناً»**[(١)].

الجبن عار:

ويجعل الرسول ﷺ الجبن من شر الصفات في الإنسان التي يُلام عليها.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«شر ما في الرجل شحٌّ هالع، وجبن خالع»**[(٢)].

تحذير الخلفاء من الجبن:

ولما للجبن من مضار، فقد كان الخلفاء يوصون قادة الجيوش بأن يبتعدوا عن هذا الخلق الذميم، فقد

---

(١) أحمد. (٢) أحمد.

جعل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يزيد بن أبي سفيان بن حرب - رضي الله عنه - أميراً على جيش بعثه إلى الشام، فأوصاه قبل الرحيل فقال له: «إني موصيك بعشر خلال: لا تقتلوا امرأة، ولا صبيّاً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعوا شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تغرمن نخلًا، ولا تحرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن».

لا نوم للجبان:

ويدحض خالد بن الوليد الجبن والجبناء في وصيته قبل الموت، فيقول وهو يتعجب أنه يموت على فراشه: «لقد حضرت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء».

الجبن مذموم عقلاً:

ومن المسلمات العقلية مدح الشجاعة وذم الجبن، لذا يقول الإمام ابن تيمية: «إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما يمدح به الشعراء ممدوحيهم في شعرهم، وكذلك يتذامون

بالبخل والجبن، ولقد كان العربي الأصيل يكره الجبن كراهية شديدة، حتى لو توالى عليه الأعداء من كل حدب وصوب، ولذا قال أحد الشعراء:

لا أقـعـد الـجـبـن عـن الـهـيـجـاء
ولـو تـوالـت زمـر الأعـداء

الرسول ﷺ يستعيذ من الجبن:

ولما كان الجبن مرضاً خطيراً، يشكل تهديداً لصاحبه ولمن حوله، فقد كان الرسول ﷺ كثيراً ما يتعوذ بالله منه.

فعن أنس أنه كان يسمع رسول الله ﷺ كثيراً ما يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين** (ثقله)، **وغلبة الرجال**»[١].

ذم الإتباع الأعمى:

حذر النبي ﷺ أن يكون المسلم إمَّعة، يتبع غيره بدافع من الجبن.

فعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: قال رسول

(١) متفق عليه.

الله ﷺ: **«لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا»**(١).

كلمة حق:

رُوي أن حاكم مصر أحمد بن طولون كان قد ظلم الناس، ولم يستطع الناس أن يدفعوا هذا الظلم بسبب جبنهم، فلم يجرؤ أحد حتى على كلامه، فتوجهوا للسيدة نفيسة بنت الحسن بن يزيد بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، يشكون إليها، فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: في غد. فكتبت رقعة، ووقفت بها في طريقه غير خائفة، وقالت له: يا أحمد، يا ابن طولون. فلما رآها عرفها، فنزل عن فرسه، وأخذ الرقعة وقرأها فإذا فيها: ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة، لا سيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم، فإنا صابرون،

---

(١) الترمذي.

وجوروا فإنا إلى الله مستجيرون، واظلموا فإنا بالله متظلمون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. فرجع أحمد عن ظلمه، ولم يظلم الناس، فكان الظلم بسبب جبن الناس وعدم تذكيرهم لأحمد بن طولون بالحق.

***



آثار الجبن

1 - ضعف الشخصية:

فالإنسان الذي يجبن في كثير من المواقف في الحياة، يكون ضعيف الشخصية، لا يستطيع أن يعبر عن رأيه في كثير من القضايا والآراء، بل يكون دائماً عالة على غيره، ينظر ماذا يُصنع ويتبعه، ولقد نهى الرسول ﷺ أن يكون المسلم دائماً تابعاً في كل أمر، فقال ﷺ: «**لا يكن أحدكم إِمعة**»(١).

ويقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: «لا يتبعن أحدكم دينه رجلًا، إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر».

---

(١) البخاري.

2 - غضب الله:

قد يجلب الجبن غضب الله، ومثال ذلك التولي يوم الزحف، والفرار من القتال ضد الأعداء بعد الخروج للقتال، فالجبان إذا رأى الجيش بعينه، ورأى الموت أمامه، حرص على الدنيا، وتمنى أن يعمر فيها أمداً بعيداً، فيفر من ساحة القتال، ويترك إخوانه المسلمين يدافعون عن بلدهم وعقيدتهم، فمثل هذا الجبان يحل عليه غضب الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

3 - فقد المكانة:

الجبان لا يكون في رؤوس الناس، بل تراه متأخراً، ينظر ما يصنع الناس، فيصنع مثلهم، ويقتدي أثرهم، أما الشجاع فهو الذي يقدمه الناس في مواقفهم، فيكون فيهم إماماً، وتأمل شجاعة خالد بن الوليد، كيف قدمته مع الإخلاص لله، فكان رأساً في الناس، خالداً في ذاكرة التاريخ، بخلاف كثير من

الجبناء الذين لم نسمع عنهم، ولم يذكر التاريخ شيئاً عن حياتهم، وذلك بسبب جبنهم وضعفهم.

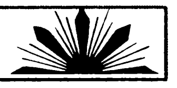
4 - احتلال الأوطان:

الجبن يؤدي إلى احتلال الأوطان، حين يعجز أهلها عن الدفاع عنها ضد الغارات التي يقوم بها الأعداء، ومثال ذلك سقوط الخلافة العباسية على يد التتار الذين راحوا يفكرون في احتلال العالم كله، والشعب المسلم في كل أرض ووطن على وجه الخصوص.

وجاء التتري هولاكو خان بجنوده العاتية الظالمة وحاصروا بغداد، لم يستطع أحد منهم أن يصنع شيئاً حتى الخليفة المستنصر بالله، لإنشغالهم بالدنيا وزينتها، فلم يصدوا عدوّاً، بل أظهروا الجبن والاستسلام، فخرج خليفة المسلمين في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية، ليتكلم مع هولاكو، مظهراً الجبن والضعف، فما استطاع أن يتكلم من هول ما رأى من المذلة والمهانة، فرجع إلى دار الخلافة ليأتي منها بالأموال والذهب، وقد صغرت نفسه بسبب جبنه، وعندئذ سعى ابن العلقمي وزير الخليفة إلى هولاكو ليأمر بقتل الخليفة، وكان له ما أراد، وقُتل خليفة المسلمين، ثم دخل التتار بغداد،

فقتلوا من وجدوا فيها من الرجال والنساء والشيوخ والصبيان. وهكذا احتلت الأوطان، وضاعت الديار، ولو يعلم الجبناء عاقبة جبنهم، لما استسلموا لأنفسهم، ولا لعدوهم، ولدافعوا عن أوطانهم وديارهم ضد كل غاصب.

***



أسباب الجبن

ينتج الجبن من عدة أمور، أهمها:

1 - الحرص على الحياة:

فالإنسان حينما تملأ الدنيا عليه قلبه، ويحبها حبّاً جّماً، يكون في غاية الحرص عليها، فيدفعه ذلك إلى الجبن في كثير من المواقف التي تتطلب منه أن يكون شجاعاً.

وقد عرف اليهود بجبنهم، ولذلك وصفهم الله تعالى بحرصهم على الحياة الدنيا، فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [البقرة: ٩٦].

ومن هنا فقد ذم الشرع الحكيم حب الدنيا، فقد مر رسول الله ﷺ على شاة وكان معه بعض أصحابه،

فقال لهم: «**أترون هذه الشاة هينة على أهلها؟**». قالوا: من هوانها ألقوها. فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء**»(١).

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن الرسول ﷺ قال: «**من أحب دنياه أضرّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى**»(٢).

ولا يعني ذلك ترك الدنيا بالكلية، بل المقصود أن لا تكون الدنيا غالبة على أمر الإنسان كله، متمكنة من قلبه، بل هو يحيا في الدنيا حياة طيبة، ملؤها طاعة الله تعالى وابتغاء رضوانه. وتدفع الدنيا إلى الجبن من شدة الحرص عليها، والتكالب على متاعها والتشبث الشديد بها.

2 - ضعف الإيمان:

يدفع ضعف الإيمان الإنسان إلى أن يكون جباناً، يتراجع في مواقف أحوج ما يكون فيها إلى الإقدام،

---

(١) ابن ماجه والترمذي. (٢) أحمد والبزار والطبراني.

ويرجع ضعف الإيمان إلى عدم الثقة بالله تعالى، كما يرجع إلى عدم الإيمان بقضاء الله وقدره، حيث يعلق الإنسان مصيره على أناس مثله، ناسياً أنه لا يحدث في كون الله إلا ما أراد، وأن ما قدر الله له لا بد أن يكون، وأن الدنيا لو اجتمعت لأذاه، ما أصابه ضرر إلا بإذن الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

كما أنهم لو اجتمعوا على نفعه، وإسداء الجميل له، ما نال من ذلك شيئاً إلا بقدر الله تعالى.

3 – عدم التوكل على الله:

إن التوكل على الله يحفظ على الإنسان أمره كله، فيقدم على أعماله وشؤونه كلها غير مبالٍ ولا خائف من شيء، بل كله أمل في الله تعالى، أن يحقق أمانيه، فلا يتطرق إليه جبن ولا خور، ولذا يقول النبي ﷺ: **«لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً»**(١).

(١) الترمذي.

والتوكل على الله لا يكون في أمر الرزق وحده، بل يكون في كل أمر من أمور الإنسان، ذلك لأن التوكل من علامات الإيمان الصادق بالله تعالى.

4 - طول الأمل:

حب الدنيا وطول الأمل، وعدم انتظار الموت في أي: لحظة، يجعل الإنسان متشبثاً بالدنيا وزينتها، فيدفعه ذلك إلى أن يجبن في كثير من المواقف، فحب الدنيا والحرص عليها رأس كل خطيئة، وسبباً رئيسيّاً في تمكن الجبن في نفوس البشر.



علاج الجبن

يمكن التخلص من الجبن بأمور أهمها:

١ - استشعار أنه لا يحدث في كون الله تعالى إلا ما أراد، وأنه لا يصيب الإنسان شيء إلا بقدر الله، وأن الحذر لا ينجي من القدر، وأن سهام القدر نافذة لا محالة، لا يقف أمامها حائل، ولا يمنعها مانع، فيقدم الإنسان بشجاعة وبسالة على كل أمر من أمور

حياته، واضعاً نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

٢ - تربية الصغار على الشجاعة، فقد كان الرسول ﷺ حريصاً على غرس هذا المبدأ في نفوس أصحابه، حتى الصغار منهم، فلا يكون للجبن بينهم مكان، ولا يعرف إليهم سبيل.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «**يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١).

وما دامت الأقلام قد رفعت، فلا يكتب شيئاً غير

(١) الترمذي.

ما قدره الله، فلأي شيء يجبن المرء ويخاف؟!

٣ - إبداء الرأي ومشاركة الأصدقاء، فكثير من الناس يصاب بالإنعزالية، ويخشى أن يبدي رأيه في كثير من المسائل التي تختص به، ومثل هذا يجب أن يُشْرِكه أصدقاؤه أو أقاربه في الرأي، ويعودوه أن يدلي بدلوه، ما دام كلامه مفيداً نافعاً.

وقد كان الرسول ﷺ يحث أصحابه على إبداء الرأي، ويأخذ بمشورتهم في كثير من الوقائع، بل ويدربهم على ذلك.

فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «كنّا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أخبروني عن شجرة تشبه الرجل المسلم، لا يتحات ورقها صيفاً ولا شتاءً، وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها**». فقال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً، قال رسول الله ﷺ: «**هي النخلة**»، فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه! والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة، فقال عمر:

ما منعك أن تتكلم؟ قلت: لم أركم تتكلمون، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً. قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا»(١).

٤ - التدرب على الشجاعة، فالجاهل يستطيع أن يتعلم بالصبر والمصابرة، والحلم يأتي بالتحلم، والشجاعة تأتي بالتشجيع، ولقد ضرب الرسول ﷺ بنفسه أروع الأمثلة في الشجاعة، حتى يعلم أصحابه ذلك الخلق الرفيع، وليبتعدوا عن الجبن، فقد سمع الصحابة في المدينة صوتاً غريباً، ففزع الناس منه، فاستعار الرسول ﷺ فرساً، وذهب تجاه الصوت، ثم رجع واستقبل الناس وهم خارجون ليعرفوا مصدر الصوت، فقابلهم ﷺ وهو يقول لهم: «**لا تراعوا، لا تراعوا**»(٢).

أبطال صغار:

في أثناء غزوة بدر جاء فتيان من الأنصار هما: معاذ ابن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء،

(١، ٢) البخاري.

يسألان عبد الرحمن بن عوف - ﷺ - عن مكان أبي جهل، فجاء أحدهم عن يمينه وقال: يا عم! أين أبو جهل؟ قال: ولم؟ قال: لأني سمعت أنه يسب الرسول ﷺ، فوالله لا يفارق سوادي سواده حتى أقتله أو أموت دونه. ثم جاءه الآخر عن يساره وقال: يا عم! أين أبو جهل؟ قال: ولم؟ قال: لقد سمعت أنه يسب الرسول ﷺ، فوالله لا يفارق سوادي سواده حتى أقتله أو أموت دونه. فدلهما عبد الرحمن بن عوف عليه، فذهبا إليه في شجاعة حتى ضرباه بالسيف، ثم جاء عبد الله بن مسعود وأجهز عليه[١].

وهكذا ضرب معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ ابن عفراء مثلًا أعلى في الشجاعة.

---

(١) متفق عليه.

وصايا

* لا تجبن، فالحذر لا يمنع القدر.

* كن قويّاً، فالمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

* كن متبوعاً في الخير والحق، ولا تكن تابعاً.

* تعوذ بالله تعالى من الجبن، فهو شر ما في الرجل.

* إياكم والجبن، فربما أدى إلى احتلال الأوطان.

* قل الحق ولو على نفسك أو الأقربين، فإن ذلك أبعد عن الجبن.

* استشعر قدر الله في الكون، تقتل الجبن في نفسك.

* شارك إخوانك وأصحابك في إبداء الرأي فيما ينفع.

* درب نفسك على الشجاعة، تأتك الشجاعة يوماً ما.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

احذر الظلم

تمهيد

الظلم من أعظم الذنوب، وأقبح الرذائل؛ لأنه يسلب صاحبه والمتخلق به إرادته، ويجعله يضع الشيء في غير موضعه؛ فيغضب الظالم في موضع الرضى، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل، ويحجم في موضع الإقدام، ويقدم في موضع الإحجام، ويلين في موضع الشدة، ويشتد في موضع اللين.

وقد حذر الله تعالى من الظلم، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩].

وقال ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته**»، ثم قرأ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ

ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][١].

تعريف الظلم

الظلم في اللغة:

الظلم: مجاوزة الحد، ومفارقة الحق أو هضمه وانتقاصه، وهو: ضد العدل، وظَلَمَهُ يظلمه من باب ضرب، والظالم: اسم فاعل، والظلوم: صيغة مبالغة، وظلام: صيغة مبالغة، ويقال: ظلمه يظلمه ظَلماً وظُلماً ومظلمة، وهو ظالم وظلوم، والمتظلم: الذي يشكو رجلًا ظلمه، والظَّلمة: المانعون أهل الحقوق حقوقهم، والظلامة: ما تظلمه، وهي: المظلمة، والمظلمة: هي اسم ما أخذ منك.

الظلم في الشرع:

الظلم: اسم لما أخذ بغير حق، والظلم وضع الشيء في غير موضعه الشرعي، إما بنقصانه أو بزيادته، وإما بالعدول عن وقته أو مكانه.

والظلم يقال في مجاوزة الحق، ويقال فيما يكثر،

---

(١) متفق عليه.

وفيما يقلُّ من التجاوز، ولهذا يستعمل الظلم في الذنب الكبير، وفي الذنب الصغير، وقيل: الظلم هو التصرف في ملك الغير بغير حق أو مجاوزة الحق.

وكلمة: الظلم جاءت في القرآن الكريم، وتغير معناها من آية إلى أخرى حسب سياق الآية، وهذه المعاني المتعددة للظلم هي:

* يطلق القرآن كلمة: الظالم ويراد به المشرك، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]. والظالمون يراد بهم المشركون.

وقد فسر الظلم بالشر كقول الله تعالى على لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ويؤكد ذلك المعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: لما نزلت آية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢].

شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله! أينا لا يظلم نفسه؟! فقال رسول الله ﷺ: «**ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا**

تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]»(١).

* الظالم: يعني به المسلم الذي ظلم نفسه بذنب يصيبه من غير شرك، مثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

ومثل قول الله تعالى على لسان موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾، أي: بقتل النفس، ﴿فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

* الظلم يعني: ظلم الناس، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الشورى: ٤٢].

* الظلم يعني: النقص. ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا﴾ [الكهف: ٣٣]. يعني: ولم تنقص منه شيئاً.

وكقول الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، يعني: وما ضرونا، حين رفع بنو إسرائيل من المن والسلوى فوق أكل يوم، وادخروه مخافة أن ينفد، فعصوا الله، فرفع عنهم هذه النعمة: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]. أي: ينقصون.

---

(١) أحمد.

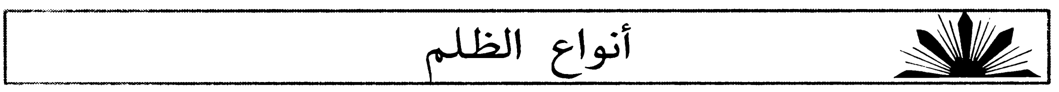
* الظلم قد يأتي في القرآن ويراد به التكذيب، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾، يعني: كفار الأمم السابقة، فنعذبهم بغير ذنب، ﴿وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]. أي: ظالمين لأنفسهم لتكذيبهم، فالظلم هنا بمعنى: التكذيب.

* الظلم قد يراد به الجحود، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]. يعني: بما كانوا بالقرآن يجحدون ويدَّعون أنه ليس من الله، فالظلم هنا بمعنى: الجحد والإنكار.

* يطلق الظلم في القرآن ويراد به السرقة، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٧٥]. يعني: السارق الذي وجد المسروق في رحله فهو من السارقين، وكان في الشرائع السابقة يتخذ السارق عبداً جزاء سرقته، فيخدم في البيت الذي سرق منه على قدر سرقته.

وكقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ

أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨، ٣٩]. يعني: من تاب من بعد سرقته، فالظلم هنا بمعنى السرقة.



أنواع الظلم

الظلم ثلاثة أنواع:

* ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، مثل الكفر والشرك والنفاق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وأصحاب هذا الظلم هم المقصودون في قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

* ظلم بين الناس، وهو المقصود من قول الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ﴾ [الشورى: ٤٢].

* ظلم الإنسان لنفسه، وهو المقصود من قول الله

تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]. وقول الله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ [القصص: ١٦].

وهذه الأنواع الثلاثة السابقة ما هي في حقيقتها إلا ظلم للنفس، لأن الإنسان الظالم إنما يظلم نفسه فحسب لأنه يعرضها لعذاب الله يوم القيامة.

أنواع الظلمة

ينقسم الظلم من حيث فاعله إلى ثلاثة أنواع:

1 - **الظالم الأعظم**: وهو الذي لا يدخل تحت شريعة الله تعالى، ويشرك به تعالى. وقد أشار الله إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

2 - **الظالم الأوسط**: وهو الذي لا يلتزم بحكم السلطان، وشريعة الإسلام، والقوانين التي تنظم الحياة.

3- **الظالم الأصغر**: وهو الذي يتعطل عن المكاسب والأعمال، فيأخذ منافع الناس، ولا يعطيهم منفعة.



حكم الظلم

الظلم حرام بالكتاب والسنة وإجماع العلماء، بل وعدَّه العلماء من الكبائر؛ لأنه يشتمل على معصيتين، هما: أخذ حق الغير، ومبارزة الله سبحانه بالمخالفة والمعصية.

والمعصية في الظلم أشد من غيرها، لأن الظلم لا يقع غالباً إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الإنتصار.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقال رسول الله ﷺ: **«اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»**(١).

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: **«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»**(٢).

نصر المظلوم:

ونصر المظلوم فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وقد يصبح نصر المظلوم فرض عين أحياناً

---

(١) متفق عليه. (٢) مسلم.

على من له القدرة على نصر المظلوم، بشرط ألا يترتب على نصره مفسدة أشد من الظلم، وشرط الناصر للمظلوم أن يكون عالماً بكون الفعل ظلماً.

ويقع نصر المظلوم مع وقوع الظلم، وقد يقع نصر المظلوم قبل وقوع الظلم، كمن أنقذه إنساناً من يد إنسان طالبه بمال ظلماً، وهدده إن لم يأخذه، وقد يقع النصر بعد الظلم وهذا هو المعتاد.

الراضي بالظلم:

والراضي بالظلم يطلق عليه في الفقه الإسلامي (الانظلام) وهو قبول الظلم.

والانظلام من حيث الكيفية نوعان:

الأول: وهو محمود، ويراد به التغاضي عن حق له في المال أو الكرامة أو النفس بقدر ما يحسن، وفي وقت ما يحسن، ويعبر عنه بالإنخداع والتغافل، وهو المقصود من قول معاوية - رضي الله عنه -: «من خدعك وانخدعت له فقد خدعته».

وإذا كان هذا الانظلام في مال فيسمى: مسامحة، وإن كان في النفس فيسمى: العفو، وإن كان في الكرامة فيسمى: تواضع.

الثاني: وهو انظلام مذموم، وهو الذي إن كان في المال فغبن، وإن كان في النفس والكرامة فهوان ومذلة.



التحذير من الظلم

أولاً: القرآن يحذر من الظلم:

تناول القرآن الكريم الظلم من خلال الحديث عن أربعة أمور هي:

1 - ظلم الأمم السابقة:

فالأمم السابقة قبل الأمة الإسلامية قد ارتكبت العديد من صور الظلم والمعاصي، ومن ذلك ظلم بني إسرائيل الذين اتخذوا العجل إلهاً من دون الله، قال الله تعالى على لسان موسى - عليه السلام -: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥٤].

وبين الله تعالى ظلم فرعون وملئه بعدم إيمانهم، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٠٣].

وقرر المولى عز وجل أن فرعون وقومه من الظالمين حيث كانوا السبب في هروب موسى - عليه السلام - من

مصر إلى مدين حيث نبي الله شعيب، فقال تعالى على لسان شعيب - عليه السلام -: ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]. يعني: فرعون وقومه.

وتحدث الله عن ملكة سبأ التي ظلمت نفسها بعدم إيمانها بالله، ثم أسلمت مع سليمان - عليه السلام -. قال تعالى على لسانها: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

ثم تناول الله عقاب الظالمين من الأمم السابقة فقال تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾، أي: أقام على الكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٨٧].

وبين المولى عز وجل عاقبة الظالمين من بني إسرائيل الذين بدلوا قول الله تعالى، وكفروا به، فقال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

2 - الله تعالى لا يظلم:

بين الله تعالى في كثير من آياته أنه سبحانه منزه عن الظلم، ولا يظلم أحداً من خلقه.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء: ٤٠]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يظلم المؤمن حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً**»(١).

3 – المسلم والظلم:

تناول الله تعالى في القرآن حياة المسلم، وما قد يتعرض له من مواقف فيها ظلم، وكيف يتصرف المسلم إذا ظلم نفسه أو الآخرين.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٦٤].

---

(١) مسلم.

ونهى الله تعالى المسلم عن ظلم نفسه بإرتكاب المعاصي في الأشهر الحرم، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

ورهب الله تعالى من رد حكمه وعدم التسليم له، فقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

ونهى الله تعالى عن المعاصي والظلم في البلد الحرام، وتوعد من يفعل ذلك بعذاب أليم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

4 - لا ظلم يوم القيامة:

بين الله تعالى موقف الظالمين يوم القيامة، فتحدث في البداية عن عدله مع الناس، وأنه لا يظلم أحداً، فقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

ثم بين الله تعالى موقف الظالمين وعاقبتهم يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

وعرض الله تعالى لنا صورة الظالم يوم القيامة وهو عاض على يديه من الندم، فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧].

ثانياً: النبي ﷺ يحذر من الظلم:

* بين النبي ﷺ عواقب الظلم، فقال ﷺ: «**من ظلم من الأرض شيئاً طوِّقه من سبع أرضين**»[١].

* وبين رسول الله ﷺ جزاء من أعان غيره على الظلم، فقال ﷺ: «**من أعان ظالماً بباطل ليدحض** (ليبطل) **به حقّاً، فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله**»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**ستكون أمراء من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم، فليس مني ولست منه، ولن يرد علي الحوض**»[٣].

---

(١) البخاري. (٢) الطبراني. (٣) ابن حبان.

* وبين النبي ﷺ موقف الظالم يوم القيامة، فقال ﷺ: «**أتدرون من المفلس؟**». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال ﷺ: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الظلم ما استطعتم، فإن العبد يجيء بالحسنات يوم القيامة يرى أنها ستنجيه، فما زال عبد يقوم يقول: يا رب ظلمني عبدك مظلمة، فيقول: امحوا من حسناته، وما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة من الذنوب، وإن مثل ذلك كسفر** (قوم على سفر) **نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب، فتفرق القوم ليحتطبوا فلم يلبثوا أن حطبوا فأعظموا النار، وطبخوا ما أرادوا، وكذلك الذنوب**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة**

---

(١) مسلم. (٢) أحمد.

لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»(١).

* وبين النبي ﷺ كيف يتأخر الظالم عن دخول الجنة حتى يوفى ما عليه من مظالم، فقال رسول الله ﷺ: «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقُّوا وهذِّبوا أذن لهم بدخول الجنة»**(٢).

* وبين النبي ﷺ أن الظلم بأشكاله المتعددة من أكبر الكبائر، وضرب مثلًا لشكلين من الظلم، فقال ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق، ومن الكبائر السبتان بالسبَّة»**(٣).

* وبين النبي ﷺ مصير القاضي الظالم، فقال ﷺ: «**القضاة ثلاثة، واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار»**(٤).

(١، ٢) البخاري. (٣) أبو داود. (٤) أبو داود.

* وكان النبي ﷺ يخاف على الأمة الإسلامية من ظلم الحكام، فقال ﷺ: «**ثلاث أخاف على أمتي: الاستسقاء بالأنواء، وحيف السلطان، وتكذيب بالقدر**»(١).

* وبين النبي ﷺ منزلة الحكام الظالمين عند الله تعالى، فقال ﷺ: «**إِن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**أربعة يبغضهم الله: البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر**»(٣).

* وكان النبي ﷺ يستعيذ ويعلمنا الاستعاذة من الظلم فيقول: «**تعوذوا بالله من الفقر، والقلة، والذلة، وأن تظلم أو تُظلم**»(٤).

كلمات ومواقف:

قال الإمام علي - رضي الله عنه -: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشتُرِيَ، وبسطوا الجور

---

(١) أحمد.
(٢) الترمذي.
(٣) النسائي.
(٤) ابن ماجه.

حتى افتدي». وقال أيضاً: «يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم».

وكان معاوية - رضي الله عنه - يقول: «إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصراً إلا الله». وقال رجل لأبي الدرداء: إن إخوانك من أهل الكوفة من أهل الذكر يقرؤونك السلام. فقال أبو الدرداء: «وعليهم السلام، ومرهم فليعطوا القرآن بخزائنهم، فإنه يحملهم على القصد والسهولة، ويجنبهم الجور والحزونة (الصعوبة)». وقال أيضاً: «إياك ودعوة المظلوم، فإنها تسري بالليل والناس نيام».

وقال عمر بن عبد العزيز: «إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس، فاذكر قدرة الله عليك، ونفاد ما تأتي إليهم، وبقاء ما يأتون إليك».

وقال الشعبي: «كان يقال: من أوصى بوصية فلم يجر، ولم يحف، كان له من الأجر مثل ما أن لو تصدق به في حياته».

وقال مجاهد: «يسلط الله على أهل النار الجرب، فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام، فيقال لهم: هل يؤذيكم هذا؟ فيقولون: أي والله. فيقال لهم: هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين».

وقال سحنون بن سعيد: «كان يزيد بن حاتم يقول: ما هبتُ (خفتُ) شيئاً قط هيبتي من رجل ظلمته، وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله، فيقول: حسبك الله، الله بيني وبينك».

وقال أبو ثور بن يزيد: «الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه». وقال بلال بن مسعود: «اتق الله فيمن لا ناصر له إلا الله».

وبكى علي بن الفضل يوماً، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «أبكي على من ظلمني إذا وقف غداً بين يدي الله تعالى، ولم تكن له حجة».

وسمع مسلم بن بشار رجلًا يدعو على من ظلمه، فقال له: «كل الظالم إلى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك».

وقيل: من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره. ويقال: من طال عدوانه زال سلطانه.

وقال ابن تيمية: «إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة». وقال أيضاً: «إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة».

وقال محارب بن دثار: «أظلم الناس من ظلم لغيره - أي: إعانة لغيره ولمصلحته -».

ورؤي لوح في أفق السماء مكتوب فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتحته هذا البيت:

فلم أر مثل العدل للمرء رافعاً
ولم أر مثل الجور للمرء واضعاً

مواقف وعبر:

ادعت أروى بنت أويس على سعيد بن زيد - رضي الله عنه - أنه أخذ شيئاً من أرضها، فخاصمته (شكته) إلى مروان بن الحكم، وقالت: إنه أخذ حقي. فترك سعيد ما ادعت المرأة من الأرض، ثم قال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واجعل قبرها في دارها. فجاء شيء من الماء فأظهر عن ضفرتها (حدود الأرض) فإذا حقها من الأرض خارجاً عن حق سعيد، فذهب إلى مروان وأخبره عما رأى، وعلم مروان والناس أن المرأة ظلمت سعيداً، وبعد فترة عميت المرأة، وسقطت في بئرها فماتت، استجابة لدعوة سعيد(١).

ومر رجل على رجل قد صلبه الحجاج، فقال: يا رب إن حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين، فلما نام رأى في تلك الليلة في منامه أن القيامة قد

---

(١) مسلم.

قامت، وكأنه قد دخل الجنة، فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين من الجنة، وإذا منادٍ ينادي: حلمي على الظالمين أحلَّ المظلومين في أعلى عليين.

يوم الأذان:

نادى رجل سليمان بن عبد الملك، وهو على المنبر: يا سليمان! اذكر يوم الأذان. فنزل سليمان من المنبر، ودعا الرجل وقال له: ما يوم الأذان؟ فقال الرجل: قال الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]. قال سليمان: فما ظلامتك؟ فقال الرجل: أرصد لي مكان كذا وكذا أخذها وكيلك. فكتب سليمان إلى وكيله: ادفع إليه أرضه وأرضاً مع أرضه.



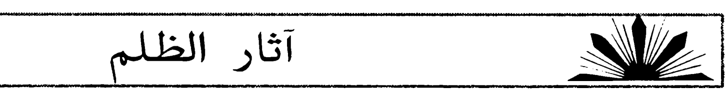
دواوين الظلم

الظلم عند الله عز وجل له دواوين ثلاثة يوم القيامة: ديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً، وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً، فإن الله تعالى يستوفيه كله.

وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه، فإن هذا الديوان أخف الدواوين، وأسرعها محواً، فإنه يُمحى بالتوبة والإستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك، فإنه لا يُمحى إلا بالتوحيد. وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها.

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله، فقد حرَّم الجنة على أهله، فلا يدخل الجنة مشرك.



آثار الظلم

١ - الظلم: يجلب غضب الله تعالى وسخطه وعذابه، قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦، ٨٧].

وقال ﷺ: «**من اقتطع أرضاً ظالماً، لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو عليه غضبان**»(١).

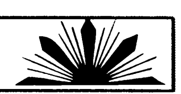
---

(١) أحمد.

٢ - الظلم: يخرب الديار، وبسببه تنهار الأمم، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠١، ١٠٢].

٣ - يحرم الظالم من شفاعة الرسول ﷺ، فقد قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، وكل غال مارق**»(١).

٤ - الظالم غير مجاب الدعوة، ضيق الرزق، غير منتصر على أعدائه، قال رسول الله ﷺ: «**لا تظلموا فتدعوا فلا يستجاب لكم، وتستقوا فلا تسقوا، وتستنصروا فلا تُنصروا**»(٢).



أسباب الظلم

حب الدنيا قد يدفع كثير من الناس إلى الظلم، فنجد مثلًا أحد الناس يتكالب على المال ويصارع الآخرين على امتلاك أكبر قدر منه، بحجة ادخاره

(١، ٢) الطبراني.

لنفسه وأبنائه من بعده، ومن هنا لا يتورع مثل هذا الرجل عن أن يظلم الناس حقوقهم، فتجد التاجر - مثلًا - يبخس الميزان ليزيد ربحه، وتكثر أمواله، وتجد الصانع يغش في صنعته أو لا يعطيها حقها من الخامات ليوفر لنفسه بعض المال، وقد يظلم الرئيس مرؤسيه بكتابة التقارير الظالمة، أو منعهم بعض حقوقهم ليحافظ على جاهه ومنصبه، وقد يظلم أحد الناس أخاه، فيسبه أو يشهد عليه زوراً أو يضربه ويسفك دمه، كل ذلك في سبيل كسب قريب ودنيا فانية.



علاج الظلم

على من وجد في نفسه ميلًا إلى ظلم الآخرين أن يتبع الآتي:

* أن يتذكر عدل الله تعالى مع قدرته، فإن من تذكر عدل الله فيه لم يظلم الآخرين.

* النظر في عاقبة الظالمين، وسوء مصيرهم في الدنيا والآخرة، فإن العاقل هو: الذي يعرف الخير

والعدل ويعمل به، ويعرف كذلك الشر والظلم ويجتنبه.

* الإطلاع على سير أهل العدل، وفضل العدل، ودراسة أحوالهم، ومحبة الناس لهم، والتأسي بهم في عدلهم حتى يصبح مثلهم ويحشر معهم يوم القيامة.

***

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

احذر الحسد

تمهيد

الحسد داء خطير، ورذيلة ممقوتة، يتسبب في إفساد العلاقات بين الناس، ولا يتفق مع روح الحب والإخاء اللذين حرص عليهما الإسلام، فالمسلم يحب لأخيه الخير. قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(١).

والحسد أكبر اعتراض على قسمة الله عز وجل لخلقه ورزقه لهم.

قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

---

(١) متفق عليه.

وللحسد عاقبة وخيمة، وعذاب أليم في الدنيا والآخرة، فالحاسد بعيد عن الخير، وينتظر دائماً الشر. قال ﷺ: **«لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا»**(١).

ولذلك أمرنا الله تعالى بالاستعاذة من الحسد، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١-٥].



تعريف الحسد

الحسد في اللغة:

الحسد هو: تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما صاحب هذا التمني سعي في إزالتها، ويقال: حسده النعمة، وحسده عليها، فهو حاسد وحسود، وكذلك امرأة حاسد وحسود، والجمع: حُسَّادٌ وحسدةٌ وقوم حُسَّد، وتحاسدا: أي: حسد كل منهما صاحبه، والحسود: ذلك الشخص الذي من طبعه الحسد ذكراً

---

(١) الطبراني.

كان أو أنثى، والمَحْسَدَةُ: ما يُحسدُ عليه الإنسان من مال أو جاهٍ ونحوهما، ويقال: المحسدة مفسدة. وتقول العرب: حسدني الله إذا كانت أحسدك، أي: عاقبني الله على حسدي إياك، وحسدتك على الشيء، وحسدتك الشيء بمعنى واحد. يقول الفيومي: حسدتك على النعمة وحسدته النعمة، أي: نستطيع استخدام الكلمة مع حرف الجر وبدون حرف الجر. والحسد غير الغبطة لأن الأولى: صفة المنافقين والثانية: صفة المؤمنين.

الحسد شرعاً:

الحسد هو: التألم بما يراه الإنسان لغيره، وما يجده فيه من الفضائل والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له، وهو خلق مكروه وقبيح بكل أحد.

والحسد من أمراض القلوب، لكن له علامات ظاهرة مثل حقد بغيض، وكراهية دائمة، وبغض شديد للشخص المحسود، وقد يظهر هذا واضحاً على الوجه، وأثناء التعامل معه، فيكون لهذا المحسود ثقل على نفس الحاسد الخبيثة، ونفور منه.



أشكال الحسد

إن الحسد لا يكون ولا يوجد إلا بسبب نعمة أنعمها الله سبحانه وتعالى على إنسان، ويمكن التمييز في الحسد بين أمرين:

الأول: أن يتمنى الحاسد زوال والنعمة والفضل والخير عن غيره من الناس، سواء كانت هذه النعمة مالًا أو علماً أو جاهاً أو سلطاناً أو صحة، وذلك ليحصل هو عليها دون غيره، وينالها بدلًا من المحسود.

الثاني: أن يتمنى الحاسد زوال تلك النعم السابقة عن غيره، ولو لم يحصل عليها أو ينالها هو. وهذا من أشرّ أشكال الحسد وأبغضها، فيمكن أن نعتبر الحسد نوع من البخل لأن الحاسد يبخل بنعم المولى عز وجل على عباده.



حكم الحسد

الحسد المذموم خلق ذميم، حرمه الله في كتابه، وعلى لسان نبيه.

ففي القرآن: أمرنا الله عز وجل بالاستعاذة من شر الحاسد إذا حسد، فقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

وقد حرَّم المولى عز وجل النظر إلى ما في أيدي الناس بحسد؛ لأن ذلك يعتبر تمني زوال النعمة من صاحبها سواء كانت دينية أو دنيوية.

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وفي السنة: يؤكد الرسول ﷺ على ذم وتحريم الحسد، فقد روي عنه أنه قال ﷺ: «**إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»(١).

وقال ﷺ: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع**

---

(١) أبو داود. (٢) متفق عليه.

بعض، وكونوا عباد الله إخواناً»(١).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، وهي: الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر**»(٢).

حسد مطلوب

هناك نوع من الحسد مطلوب شرعاً، وهو:

الغبطة: وهي أن تحب لنفسك مثل النعم التي منحها الله للآخرين دون أن تتمنى زوالها عنهم، فهذه الغبطة جائزة.

قال النبي ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها، ويعلمها بين الناس**»(٣).

والحسد المراد هنا هو الغبطة والامتنان لما أنعم الله به على الآخرين مع عدم تمني زوالها منهم.

(١) مسلم. (٢) أحمد. (٣) البخاري.



آثار الحسد

الحسد مرض نفسي خطير، وهمٌّ على النفس ثقيل، له آثار سيئة على كل من الحاسد والمحسود.

آثار الحسد على المحسود:

يؤثر الحاسد بشكل كبير في المحسود - بمشيئة الله - بلا ذنب منه سوى أن الله تعالى منَّ عليه بالنعم، فقد يسعى الحاسد إلى هلاك ودمار نعمة المحسود، وغالباً ما تتعدى آثار الحاسد إلى من يحيط بالمحسود، فنجد مثلًا أهل المحسود وقد أصابهم الهم لما يرونه من ضرر بالمحسود.

ولو بحثنا عن أسباب الخصام والكراهية التي تحدث بين الأقارب، أو بين الزملاء والأصدقاء، أو بين الجيران، لوجدنا أن الحسد وراء الكثير من ذلك بما يحمله من كراهية وانتقام وغيظ وحقد.

آثار الحسد على الحاسد:

١ - الحاسد: هو الخاسر الوحيد من حسده، وليس المحسود كما يُظَن، لأن الحسد ليس سبباً مؤثراً في زوال النعم، لأن المولى عز وجل لا ينفذ مشيئته

وإرادته حسب رغبات الحاسدين، والدليل على ذلك أن الله تعالى أبقى نعمه على الأنبياء، وسائر من أراد لهم ذلك، مع أنهم كثيراً ما حُسدوا من قومهم، كما أبقى على الأغنياء غناهم، وحافظ للمؤمنين على إيمانهم بمشيئته.

٢ - الحسد: يجلب الشر لصاحبه، فالحاسد مثل: رجل أراد أن يرمي إنساناً بحجر ضخم، فعاد الحجر إلى عينه هو فأصابه وأهلكه، وذلك لأن الحاسد لا يشعر ولا يقدر نعم الله عليه، وهي كثيرة.

٣ - أن الحاسد يعيش في عذاب قاسٍ، وغمٍّ دائم، وهمٍّ متجدد، لأن نعم الآخرين لم تزلْ، وذلك سيؤدي بالحاسد في النهاية إلى الدمار والخسران السريع.

٤ - أن الحاسد يجني من وراء حسده حسرات وآلاماً وأمراضاً جسدية، لأنه لن يجني من حسده شيئاً، وصدق ابن المعتز حين قال: الحسد داء الجسد.

٥ - الحاسد مكروه من الناس، ومعزول وحده، مثل: الشخص المريض المعدي، فلا يجد أحداً يحبه ويألفه، وذلك لأن حسده أدى إلى نفور الناس منه، وبعدهم عنه، وكرههم الشديد له، والنتيجة النهائية

لذلك عدم سيادته لقومه، كما قيل في الحكمة: الحسود لا يسود.

٦ - الحاسد متعرض لسخط الله تعالى وغضبه وعقابه الشديد، وذلك أنه يعترض على حكم الله وعطاياه، وتقسيمه النعم بين خلقه، وجزاؤه المتوقع جهنم وعذابها الأليم.

* * *



التحذير من الحسد

يهتم الإسلام بصفاء النفس البشرية، ويعتني بها، ويحميها من المفاسد، وقد جاء الإسلام حاملًا مشاعر الحب والإيثار والتآلف والتضحية، وقد أمر الله تعالى رسوله المصطفى ﷺ وجميع المؤمنين بالاستعاذة من شر الحاسد، والبعد عنه واتقاء شره.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١-٥].

كما بيَّن الشرع الحكيم أن الحاسد مثله كمثل إبليس لعنه الله، يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله! أُمِر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمِرتُ بالسجود فأبيت فلي النار**»[(١)].

كما قال تعالى محذراً ومنكراً على من يتصف بهذه الصفة الشريرة السيئة: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ**﴾ [النساء: ٥٤].

فالحسد وشره وسوء نتائجه إنما يقع بسبب ما استقر في قلب صاحبه من مرض جعله لا يرضى بما أنعم الله به على عباده، وحمله على السعي في زوالها بالقول والعمل، فالحسد إذاً استكثار واستنكار لفضل الله تعالى أن يؤتاه أناس بعينهم، وهو نوع من الاعتراض على قدر الله وقضائه.

والحسد يُعمي بصر الحاسد، ويغلق قلبه عن الرحمة، ويدفعه إلى الانتقام، ويهوي به إلى مستنقع الجريمة.

وفي الحديث الشريف نجد التحذير مباشراً

---

(١) مسلم.

وواضحاً من الحسد وشروره، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إياكم والحسد، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»(١).

يقول الإمام النووي: «إن هذه الرذيلة الحقيرة تذهب السيئات وتقضي عليها، وتبطلها بسرعة شديدة، وذلك مثلها مثل النار الشديدة التي تقضي على الحطب والعشب اليابس».

والحاسد من أعداء الله تعالى، ومن شياطين الإنس، فقد قال عبد الله بن مسعود: «لا تعادوا نعم الله. قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، يقول الله تعالى في بعض الكتب: الحسود عدو نعمتي، متسخط لقضائي، غير راضٍ بقسمتي».

فالحاسد عدو النعمة، فمثله كمثل إبليس اللعين، حسد آدم - عليه السلام - لما رأى منزلته العظيمة عند الله عز وجل، وأن الله سبحانه خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وعلَّمه أسماء كل شيء، وأسكنه الجنة، فما زال إبليس يسعى حسداً حتى أخرجه من الجنة ونعيمها إلى الأرض وعذابها. فها هو ذا دائماً يؤدي إلى الأذى

---

(١) أبو داود.

والعدوان والضرر الشنيع والهلاك، وقد يصل إلى حد القتل والفناء للمحسود.



الحسد القاتل

فاز يوسف - عليه السلام - من حب أبيه يعقوب - عليه السلام - بنصيب أكبر من إخوته، لما كان له من أخلاق كريمة، فسيطر على إخوته شعور قوي بأنهم أقل منزلة عند أبيهم منه، وتطور هذا الإحساس حتى ملأ الحسد نفوسهم، فبدؤوا يدبرون للتخلص من يوسف - عليه السلام -.

قال تعالى يصف تآمرهم: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٨، ٩].

وذهب إخوة يوسف إلى أبيهم، وطلبوا منه أن يسمح لهم باصطحاب يوسف للعب معهم، فسمح لهم أبوهم، فلما خرجوا إلى الصحراء ألقوه في بئر عميقة عسى أن يموت جوعاً وعطشاً، وعادوا إلى أبيهم، وزعموا أن الذئب قد أكله، ولكن الله تعالى لم ينس

نبيه يوسف، ومرت قافلة وذهب رجل منهم إلى البئر يطلب الماء، فوجد يوسف فأخذه وباعه في مصر، ثم أصبح يوسف بعد ذلك وزيراً على خزائن مصر، وجاء إخوته يطلبون منه الطعام فبين لهم أنه أخوهم يوسف، وقال لهم: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]. وندم إخوته واعترفوا بذنبهم وقالوا له: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩١]. وهكذا دفعهم الحسد إلى التفكير في قتل أخيهم.



كلمات وأشعار

يروى عن الإمام علي - رضي الله عنه - أنه قال: «لا راحة لحسود، ولا إخاء لملولٍ، ولا محب لسيء الخلق». وقال أحد السلف: «لله در الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله».

وقال معاوية - رضي الله عنه -: «ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود» وقال الأصمعي: «قلت لأعرابي: ما أطول

عمرك؟ فقال الأعرابي: تركت الحسد فبقيت».

وذات مرة قال رجل لشريح القاضي: إني لأحسدك على ما أرى من صبرك على الخصوم، ووقوفك على غامض الحكم. فقال له شريح: ما نفعك الله بذلك ولا ضرني.

كما كان للشعراء كلمتهم في التحذير من هذه الرذيلة القبيحة، فقد قال عبد الله بن المعتز:

اصبر على كيد الحسود
فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها
إن لم تجد ما تأكله

وقال آخر:

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا
إلا الحسود فإنه أعياني
ما إن لي ذنباً إليه علمته
إلا تظاهر نعمة الرحمن
وأبى فما يرضيه إلا ذلتي
وذهاب أموالي وقطع لساني



نهاية حاسد

يروى أن رجلًا كان يجالس أحد الحكام ويصاحبه وينصحه، فحسده رجل شرير على ذلك المقام عند الحاكم، فذهب إلى الحاكم وقال له: إن هذا الذي يجالسك، ويقول ما يقول من كلام جميل، يزعم أنك أبخر - أي: لفمك رائحة كريهة -. فقال له الحاكم وهو ساخط: وكيف أتأكد من ذلك؟ قال له الرجل الحاسد: تدعوه إليك، فإنه إن دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر منك. فقال له الحاكم: انصرف حتى أنظر. فخرج الحاسد من عند الحاكم، وذهب إلى الرجل جليس الحاكم الذي وشى به عنده ودعاه إلى منزله، فأطعمه طعاماً فيه ثوم كثير، ثم خرج ذلك الرجل وذهب كعادته إلى الحاكم وجلس بجواره لينصحه، فقال: أيها الحاكم أحسن إلى المحسن بإحسانه، فإن المسيء سيكفيكه إساءته. فقال له الحاكم: ادنُ مني. فدنا منه، فوضع الرجل يده على فمه مخافة أن يشم الحاكم منه رائحة الثوم، فقال الحاكم في نفسه: ما أرى فلاناً إلا قد صدق. وكان الحاكم لا يكتب بخطه إلا صلة أو جائزة،

فكتب للرجل كتاباً بخطه إلى عامل من عماله يقول فيه: إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه. فأخذ الرجل جليس الحاكم الكتاب وخرج به، فلقيه الرجل الواشي الذي حسده، فقال له: ما هذا الكتاب؟ فقال: خَطَّ الحاكم لي كتاباً فيه جائزة. فقال له: هبه لي. قال: هو لك. فأخذه ومضى به إلى العامل، فقال له العامل: في كتابك أن أذبحك. فقال الرجل الحاسد بفزع: إن الكتاب ليس لي، فالله الله في أمري حتى تراجع الحاكم وتخبره بأمري. فقال العامل: ليس لكتاب الحاكم مراجعة. فذبحه ثم عاد الجليس الطيب إلى الحاكم كعادته، فتعجب الحاكم وقال له: ما فعل الكتاب؟! فقال الرجل الطيب: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له. قال الحاكم له: إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر. قال الرجل: ما قلت ذلك. قال الحاكم: فلم وضعت يدك على فمك؟ قال: لأنه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تَشُمَّه. عندئذٍ قال الحاكم لهذا الرجل الطيب الحكيم: صدقت، ارجع إلى مكانك، فقد كفى المسيء إساءته.

* * *



أسباب الحسد

قبل الدخول في طرق العلاج من الحسد، وإزالة هذا الخلق الذميم، وتلك الرذيلة البغيضة الكريهة، علينا أولًا التنبيه إلى أسباب الحسد، ومعرفة دوافعه وأسبابه، وذلك حتى نصل إلى العلاج الصحيح الذي يقضي على هذه الرذيلة، ومن هذه الأسباب والدوافع ما يلي:

أولاً: البغضاء والحقد والعداوة:

وهذا الدافع من أشد دوافع الحسد خطراً وأهمية، ومن ذلك ما وصف المولى عز وجل به الكفار وعداوتهم وبغضهم الشديد للمؤمنين، فقد قال عز من قائل: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٞ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٞ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ﴾ [آل عمران: ١١٩، ١٢٠].

ولأن الحقد يقترن بالعداوة والبغض والكراهية ولا يفارقهما، فقد اعتبر الحقد من أشد أسباب الحسد.

ثانياً: حب النفس:

إذا امتلأ صدر إنسان بحب النفس، فإنه سوف

يحسد، وقريباً من ذلك كان حسد الكفار لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

فقد وصل بهم حب الذات إلى مرتبة حسد الأنبياء على الفوز برتبة الرسالة والنبوة، وعدم حصولهم عليها، لأنهم يرون أنفسهم أنهم أكثر استحقاقاً وجدارة بالرسالة من النبي ﷺ، وهذا الدافع نفسه نجده سبباً في كفر وصدود علماء اليهود وأحبارهم وإنكارهم لنبوة النبي محمد ﷺ، مع أنهم يعرفون جيداً أنه قد جاء بالحق المبين من عند الله سبحانه وتعالى، وذلك بالطبع كان حسداً من عند أنفسهم الخبيثة، وخوفاً وفزعاً أن تذهب رئاستهم وجاههم وسلطانهم، فيصبحوا أتباعاً بعد أن كانوا متبوعين.

ثالثاً: سوء الفهم:

إذا عرف أحد الناس أن هناك فضلاً أو نعمة أعطاها الله لعبد من عباده، اضطرب وكره ذلك وحسده، ولكن إذا وصف له أن هناك اضطراباً في أمور الناس وتنغيصاً في عيشهم، فإنه يفرح بذلك ويُسرّ، وهذا دليل على سوء الفهم، لأنه بذلك يبخل بنعمة الله تعالى على عباده، وكأنهم يأخذون ذلك من

خزائنه هو وملكه هو، فترى ذلك الخبيث الحاقد ساخطاً على الله عز وجل في قضائه، ومنحه لعباده، وعطائه لهم، حتى وإن كانت نعم الله وأفضاله عليه كثيرة لا تعد، فالحاسد يبخل بنعمة الله تعالى على خلقه، الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة، وهذا ليس له سبب إلا خبث النفس وقلة العقل ومرض القلب، وهذا الصنف من شر الحاسدين.

رابعاً: المماثلة والتزاحم على غرض واحد:

إن المماثلة أو التكافؤ في النسب، أو المكانة، أو الغنى، أو التجارة من أكثر الأشياء التي تثير الحسد، ويؤكد ذلك الإمام الغزالي فيقول: «إن الجوار والقرب يثير التنافر والتحاسد، فترى العالم يحسد العالم، ولا يحسد العابد، والتاجر يحسد التاجر ولا يحسد غيره، فكان أصل هذه المحاسدات والأحقاد العداوة والتزاحم بينهما على غرض واحد يجمع بينهما، فيحدث ذلك».



علاج الحاسد

لكي يقي الإنسان نفسه من مرض الحسد، عليه بالآتي:

١ - التخلق بخلق الرضا والقناعة وإيثار الغير، فيحب الخير للجميع، ويؤثر الناس على نفسه، ويرضى بما قسمه الله له مع السعي والتفوق والسير وراء أسباب النجاح والفلاح.

٢ - على المسلم إن خطر له خاطر الحسد بحكم بشريته ونفسه الضعيفة، وعدم عصمته من الأخطاء، أن يقاوم الحسد ويدفعه عن نفسه، ويكرهه ويعتبره عدوه الأكبر، حتى لا يصير خلقاً وصفة فيه، فيخسر كل شيء بسبب ذلك.

٣ - يحسن بالمسلم إذا رأى شيئاً أعجبه أن يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، وبذلك لا يؤثر الحسد في نفسه، ولا يأتي له، ويسلم منه بإذن الله تعالى.

قال ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان (حسد) سهل بن حنيف: **«ألا برَّكتَ؟»** - أي: قلت اللهم بارك عليه[١].

وروى هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً (بستاناً) من حيطانه قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

(١) أبو داود.

٤ - استبدال الحسد بالغبطة، وهو أن يتمنى الإنسان أن يكون له مثل أخيه من نعم وأفضال وأخلاق كريمة من غير رغبة في زوال هذه النعم والأفضال من صاحبها. والغبطة جائزة عند كثير من العلماء، ولا يستطيع أن يعيب أحدٌ على صاحب هذا الخلق القويم الجميل المحبوب، وذلك لأن الغبطة تجعل الإنسان يعمل ويسعى ويدعو ربه حتى يصل إلى المكانة التي وصل إليها صاحبه من النجاح والتفوق الدائم، وعندما يتخذ المؤمن هذا الطريق فإنه لا بد أن يصل قبل كل ذلك إلى رضا المولى عز وجل، فيكون هذا طريق النعم والفضل عليه.

٥ - المنافسة في الخيرات، وكذلك يجب على المسلم الملتزم بأوامر الله وشرعه أن يتخذ المنافسة في الخيرات طريقاً ومنهاجاً له يمشي عليه، ويسير بإطمئنان تحت هداه، فالمنافسة هي: بذل المجهود، ومجاهدة النفس وحملها على التشبه بالأفاضل من الناس، واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على الغير.

ومن الناس من يظن أن المنافسة في الخير هي: الحسد، ولكن الأمر ليس كذلك، فالحسد بعيد كل

البعد عن المنافسة والغبطة المحمودتين، فالمنافسة حافز مؤثر في اكتساب الفضائل والنعم والأخلاق الكريمة، بل والاقتداء بالأفاضل في كل مجال.

قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال الشاعر مرغباً في التنافس:

نافس على الخيرات أهل العلا
فإنما الدنيا أحاديث

كل امرئ في شأنه كادح
فوارثٌ منهم وموروث

ولذلك كانت المنافسة - وليس الحسد - الطريق الطبيعي لتقدم الأشخاص والأمم نحو الوصول إلى أفضل حال.

٦ - أن يفرِّغ قلبه من الاشتغال بالحسد والتفكير فيه، ويمحوه من باله كلما خطر له، وعليه أن يشغل

باله بالتفكير في الله سبحانه والخوف منه، وهذا من أنفع الأدوية، وأقوى الأسباب المعينة على دفع الحسد من القلب، وتخليص النفس منه، فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه، فإذا انشغل عنه بالخوف من الله والتفكير في عواقب الأمور، لم يتعرض له ذلك العدو ولم يقدر عليه إن تعرض له.

٧ - على المرء الحاسد أن يتوب إلى الله تعالى من ذنوبه ورذائله، وعليه كذلك أن يتيقن أن ذنوبه وأعماله هي التي سلطت عليه هذا الكيد والحقد والحسد، وذلك لقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

ولذلك على المرء أن يشتغل بذنوبه ويترك آفات النفس ويتخلص منها، وعليه كذلك أن يسرع بإصلاح نفسه، وتعويدها على الخير، ويتوب توبة نصوحاً، ويستغفر الله عز وجل من ذنوبه ورذائل نفسه.

٨ - التفكر واستخدام العقل الذي يستقبح الحسد والحقد، فالعقل السليم يرفض ما يجده من مساوئ الحقد والحسد والبغضاء، ويعلم يقيناً أنه لا يستفيد منه شيئاً، فيبدأ بتذليل ما في النفس من علو وتكبر،

وتطهيرها، فتبدأ النفس في الرجوع لكامل صوابها ورشدها، والإستجابة السريعة إلى صلاحها وتقويمها، والسير بها على السبيل الصحيح بعيداً عن الحسد.

٩ - على الحاسد أن يشعر بخطورة نفور الناس منه، وبعدهم عنه، وكراهيتهم له، وخوفه على نفسه من عداوتهم له، وتكون معرفته هذه حافزاً له لإصلاح وعلاج ما اعوجَّ من نفسه بالحسد، وأن يرى أن صلاحها أجدى نفعاً له، وأنفع في علاقته بمن معه من الناس.

١٠ - على الحاسد التفكر في آخرته ومصيره البائس، وجهنم التي تنتظره لعقابه الشديد على رذيلة الحسد المتمكنة من نفسه الخبيثة.

١١ - على الحاسد أن يتذكر أنه نفسه قد يقع فريسة للحسد، فيحسده الناس، ويحيق به مكره السيء، ويذوق ما كان يذوقه الآخرون من مرارة الحسد.

١٢ - أن يرضى الحاسد بالقضاء، ويستسلم للمقدور، فلا يعاند الله تعالى في قضائه، ولا يعارضه في أمره، فإن مشيئة الله نافذة ولا راد لقضائه.



علاج المحسود

أولاً: الوقاية:

على مَنْ يريد أن يتقي شر الحسد أن يتبع الآتي:

١ - أن يتعوذ بالله من شر الحسد، ويلجأ إلى الله تعالى ويتحصن به.

٢ - الرقية الشرعية، وهي قراءة المعوذتين، وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي.

ومن الرقية أيضاً الإكثار من التعوذات النبوية مثل: **«أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»**[١]، **«أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»**[٢]، **«أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»**[٣]، **«باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك»**[٤].

٣ - أن يتقي الله ويحفظ أوامره ولا يتعدى حدود

---

(١) أحمد.
(٢) البخاري.
(٣) أبو داود.
(٤) مسلم.

الله، فإنه من يتق الله يحفظه، ولا يكله إلى غيره.

٤ - أن يتحلى بالصبر على أعدائه ولا يؤذي أحداً.

٥ - أن يتوكل على الله، فمن توكل على الله فهو حسبه، أي: كافيه، ومن كان الله كافيه فسوف يدفع عنه أذى الناس وعداوتهم.

٦ - الإقبال على الله تعالى والإخلاص له والإنابة إليه والتوبة من الذنوب التي كانت سبباً في تسلط الحساد عليه.

٧ - الإكثار من التصدق والإحسان، فإن ذلك يدفع البلاء والعين وشر الحاسد، فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها.

٨ - الإحسان إلى الحاسد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

٩ - اليقين والعلم بأن الحسد لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ

﴿لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

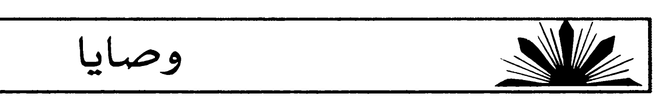
ثانياً: العلاج:

إذا تعرض المسلم للحسد بالعين أو غيره، فينبغي عليه اتباع الآتي:

١ - كتابة بعض الآيات ونقعها في الماء، ثم الشرب منه والغسل منه.

٢ - يغتسل الحاسد، ويغسل ملابسه، ثم يأخذ ذلك الماء، ويصب على رأس المحسود.

قال ﷺ لعامر عندما حسد أخاه: «**اغتسل له**»، فغسل له عامر في قدح وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره (أي: طرف الملبس الذي يلي الجسد) ثم صب عليه، فراح مع الناس، أي: شفي بإذن الله(١).



وصايا

* دعوة الآخرين إلى بغض الحسد، والبعد عنه

(١) مالك وأحمد.

وكشفه أمامهم ونتائجه الكريهة، وتحريم الإسلام له ونهيه عنه.

* إذا رأيت نعمة لدى أحد من خلق الله تعالى فاذكر قول الرسول ﷺ: «**اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر**»(١).

* القلب الحاسد يفسد الأعمال الصالحة، أما القلب الصافي فإن الله يبارك فيه ويزيده خيراً ونقاءً، فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -: قيل: يا رسول الله! أي الناس أفضل؟ قال: «**كل مخموم القلب، صدوق اللسان**». قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد**»(٢).

---

(١) أبو داود.

(٢) ابن ماجه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

احذر الكسل

تمهيد

الكسل آفة تميت الحياة، وتثقل الحركة، ومرض يورث الحاجة والفقر، ويقتل النشاط والعمران. فالكسول عالة على مجتمعه، يأخذ ولا يعطي، يستهلك ولا ينتج، في حين أن الإسلام يدعو إلى العمل والنشاط، قال ﷺ: **«ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده»**(١).

وكان ﷺ يحث على كل عمل شريف، يعلي منزلة الإنسان ويجلب له الرزق. قال ﷺ: **«ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»**(٢).

وكان ﷺ يتعوذ من الكسل ويقول: **«اللهم إني**

---

(١) أحمد. (٢) البخاري.

أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل»[١].

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ينصح الناس: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة».



تعريف الكسل

الكسل في اللغة:

الكَسَلُ مأخوذ من مادة (ك س ل) والتي تدل على التثاقل عن الشيء والقعود عن إتمامه.

وكَسِلَ عن الشيء كَسَلًا فهو: كَسِلٌ وكسلان، والجمع: كُسالى وكَسْلى، الأنثى: كَسِلَةٌ وكسلانه. وتكاسل: تعمد الكسل، وأمر مكسلة: أي: يؤدي إلى الكسل، يقال: الفراغ من المكسلة، والكَسُول: شديد الكسل.

---

(١) أحمد.

الكسل في الشرع:

الكسل هو التغافل والتثاقل عن كل واجب فرضه الله تبارك وتعالى على الإنسان، كالكسل عن أداء الفرائض، مثل الصلوات الخمس أو الصوم أو الجهاد، وكالكسل عن كل عمل نافع يضمن للإنسان حياة كريمة، ويعفه ويصونه عن المسألة.

صور الكسل

1 - البطالة:

أنزل الله تعالى آدم على الأرض، وكلَّفه بالكدح والعمل، ووفر له الرزق في الأرض.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

فإذا تكاسل الإنسان عن العمل، فسوف يعيش في فقر وذل، ويضطر لسؤال الناس، والإسلام يريد من المسلم أن يكون قويّاً عزيزاً لا يرضى ذل السؤال.

قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى**

يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم»[١].

من هنا نهى الإسلام عن البطالة والتسول، وأمر بالعمل لأنه وسيلة للبقاء والعيش.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

وأعلى من منزلة العمل فقرنه بالصلاة، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وأجاز الإسلام مباشرة أعمال التجارة أثناء أداء مناسك الحج. قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨].

ورسول الله ﷺ كان يرغب أصحابه في العمل، وينهى عن البطالة.

فقد روي أنه لما أقبل من غزوة تبوك استقبله معاذ بن جبل - رضي الله عنه - فصافحه، فأحس النبي ﷺ خشونة في يد معاذ، فقال له: **«كبنت يداك يا معاذ**

---

(١) البخاري.

- **أي: خشنت-**». فقال معاذ: نعم يا رسول الله لأني أعمل بالمحراث، وأنفق على عيالي. فقبله رسول الله ﷺ وقال: «**تلك يد يحبها الله**».

وقال رسول الله ﷺ: «**أيما رجل كسب مالًا حلالًا، فأطعم نفسه أو كساها فمن دونه من خلق الله، فإن له به زكاة**»(١). وقال ﷺ: «**إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه**»(٢).

فالكسل والبطالة طريق الذل والمهانة، والعمل والنشاط طريق الرفعة، فواجب كل إنسان ألا يتكاسل عن أداء عمل حلالٍ يوفر له رزقاً يسد به حاجاته، ويؤدي به رسالة العمران في الدنيا، ينال من ربه حسن الجزاء.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

2 - التواكل:

الكُسالى يتخذون من التوكل ستاراً يخفون به كسلهم، فيتكاسلون عن واجباتهم بدعوى التوكل، والله

---

(١) ابن حبان. (٢) الطبراني.

تعالى لم يأمرنا بذلك، ولكنه أمرنا أن نأخذ بالأسباب ونسعى ونجتهد ثم نتوكل، فالسعي للرزق لا يتنافى مع التوكل على الله.

وقد يتكاسل البعض عن العمل، بحجة التفرغ للعبادة، والزهد في الدنيا، وليس ذلك من الإسلام؛ لأن الإسلام دين إيجابية، يطلب من المسلم أن يقدم الخير لنفسه وجماعته بالعمل والإجتهاد.

والإسلام لا يعرف الرهبانية (التفرغ للعبادة)، فالعمل الصالح المفيد إذا أتقن وروعي فيه وجه الله، كان عبادة في نفسه، وكان له منزلة تقارب منزلة الجهاد في سبيل الله.

ولذلك قرن الله بين العاملين والمجاهدين، فقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

يروى أن رجلًا جاء للحسن - رضي الله عنه - فقال له: إني أقرأ المصحف كله بالنهار. فنصحه قائلًا: اقرأه بالغداة والعشي، واجعل يومك في صنعتك، فقد جعل الله تعالى النهار للسعي والعمل، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١].

وعندما لقي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قوماً لا عمل لهم، غضب لذلك وسألهم: من أنتم، ولِمَ تتكاسلون عن العمل؟! فقالوا: إنما نحن متوكلون على الله. فقال لهم: كذبتم، ليس هذا هو التوكل، إنما التوكل من ألقى الحبَّة في الأرض، ثم توكل على الله.

وكان - رضي الله عنه - ينهى الفقراء عن الجلوس في الطرقات اتكالًا على الصدقات، ويقول لهم: يا معشر الفقراء! استبقوا إلى الخيرات، ولا تكونوا عيالًا على الناس.

ورأى أحد الأئمة رجلًا لا يعمل فسأله: لما تتكاسل عن العمل؟ فأجابه: أعمل بحديث رسول الله ﷺ: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً**»(١).

فعلم الإمام أن الرجل يفهم الحديث فهماً خاطئاً، فقال للرجل: إن الرسول ﷺ ذكر غدو الطير ورواحها ليدل على أن السعي مطلوب، فلو قعدت الطيور في أعشاشها ما أتاها الرزق.

---

(١) الترمذي.

3 – التكاسل عن الصلاة:

التكاسل عن الصلاة إثم كبير، لأن الله أمرنا بالمحافظة عليها، فقال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وذم المتكاسلين عنها، فقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

وجعلها رسول الله ﷺ من دلائل الإيمان وعلامته، فقال ﷺ: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان**»(١).

وأوصى الرسول ﷺ بتعليمها الصغار حتى يتعودوا أداءَها ولا يتكاسلوا عنها كباراً، فقال ﷺ: «**علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً**»(٢).

وكان ﷺ قدوة في المحافظة على الصلاة وعدم التكاسل عنها، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان

---

(١) الترمذي.

(٢) البزار.

رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه.

فلو علم المسلم فضل الصلاة ما تكاسل عنها أبداً، فهي تكفر الذنوب، وتنقي النفوس، وتقرب العبد من ربه، قال ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر**»(١).

4 - التكاسل عن النوافل:

إذا تقرَّب العبد من ربه ذراعاً، تقرب الله منه باعاً، والنوافل طريق التقرب إلى الله، فمن تكاسل عن أدائها يحرم نفسه فضلاً عظيماً.

قال ﷺ: «**ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى في كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة**»(٢).

5 - التكاسل عن طلب العلم:

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

(١، ٢) مسلم.

يولد الإنسان طفلاً ضعيفاً غير قادر على التفكير، ثم يكبر هذا الطفل شيئاً فشيئاً، ويحتاج إلى التعلم ليتمكن من التواصل بالعالم من حوله، والإسلام يحرص دائماً على رفعة أبنائه وتقدمهم ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم.

لذلك كانت أول آيات القرآن الكريم دعوة للعلم، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

وقال ﷺ: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**(١).

فمن تكاسل عن تحصيل العلم فسوف يحرم نفسه فضلاً كبيراً، وطريقاً ميسراً إلى الجنة.

قال ﷺ: **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»**(٢).

كما يحرم نفسه من المنزلة الرفيعة بين الناس فلا تستوي منزلة العالم والجاهل.

قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

---

(١) الطبراني. (٢) مسلم.

فلو علم كل مسلم فضل العلم والعلماء لما تكاسل عن تحصيله والسعي له ولو كان في أقصى البلاد.

6 - التكاسل عن فعل الخير:

﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

هكذا أمرنا الله تعالى بفعل الخير، ويسر لنا سبلًا كثيرة لفعله، وفعل الخير يفتح أبواب الحب بين المسلمين، كما يفتح أبواب الجنة لفاعله؛ لأن الله تعالى يثيب فاعل الخير ويجازيه عنه خيراً، ولو كان عملًا بسيطاً، فإماطة الأذى عن الطريق - مثلًا - صدقة، قال ﷺ: «... **وتميط الأذى عن الطريق صدقة**»(١).

والمسلم يستطيع أن يكون من الفائزين بأحسن الجزاء بإخلاص نيته للخير، وعدم التكاسل عن فعله، والمجتمع الذي يتكاسل أفراده عن فعل الخير، ويُنسى الفضل بينهم، فإن حبال المودة فيه تضعف، وتنغلق أبواب الألفة بينهم.

---

(١) متفق عليه.

7 - التكاسل عن السفر:

قد يضيق رزق الإنسان في مكان ما، فلا بد أن يسافر في طلب الرزق، تنفيذاً لأمر الله تعالى القائل: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

فإذا تكاسل الإنسان عن السعي لطلب الرزق، والهجرة في الأرض فسوف يحرم نفسه من فوائد ورزق وفير.

* * *



حكم الكسل

إذا تكاسل الإنسان عن واجب فرضه الله تعالى عليه وألزمه بفعله كأداء الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت عند الإستطاعة.

فحكم هذا الكسل شرعاً التحريم، ويأثم الكسلان، ويستحق من الله تعالى العذاب الشديد يوم القيامة إذا أصر على كسله.

أما إذا تكاسل الإنسان عن عمل من الأعمال الصالحة التي رغب فيها الإسلام كزيارة مريض أو إماطة أذى عن طريق، فحكم هذا الكسل الكراهة لأنه يحرم صاحبه من ثواب عظيم كان سيناله لولا تكاسله.

التحذير من الكسل

الإسلام يُعلي قدر المسلمين، ويبتغي لهم العزة والكرامة والحياة الفاضلة، ولا يتحقق ذلك إلا مع العمل.

لذلك أمرنا الله تعالى به فقال: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ونهى رسول الله ﷺ عن الكسل، وبين لأصحابه أن العمل هو مقياس رفعة الرجل في قومه، وقد روي أن أقواماً قدموا عليه ﷺ فقالوا له: إن فلاناً يقوم الليل ويكثر الذكر. فقال: «**أيكم يكفيه طعامه؟**». فقالوا: كلنا - أي: نتعاون على سد حاجته -. فقال ﷺ: «**كلكم خير منه**»[١].

---

(١) أحمد.

وروي أن أبا بكر - رضي الله عنه - عندما تولى الخلافة وبعد أن بايعه الناس قابله عمر بن الخطاب وأبو عبيدة ابن الجراح وهو ذاهب إلى السوق، وعلى رأسه أثواب يتاجر بها، وكان يحترف التجارة، فقالا له: كيف تصنع هذا وقد وليت أمور المسلمين، إنما يجب عليك أن تتفرغ لها؟ فقال أبو بكر: ومن أين أطعم عيالي؟!

وجعل الرسول ﷺ العمل فريضة على كل مسلم ومسلمة، فقال ﷺ: **«كسب الحلال فريضة بعد الفريضة»**(١).

والله تعالى لا يحب الكسول العاجز، بل يحب العبد النشيط العامل، وليس أدل على هذا الحب من أنه يغفر له ذنبه.

قال رسول الله ﷺ: **«من طلب الدنيا حلالاً وتعففاً عن المسألة وسعياً على عياله، وعطفاً على جاره، لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر»**(٢).

---

(١) الطبراني.

(٢) أبو نعيم والبيهقي.



أثر الكسل

1 – التدني بين الناس:

الكسول لا ينال شرف السيادة بين الناس، ولا في قومه، لأنه اكتفى بالكسل، ورضي أن يعيش عالة على غيره.

ولذلك كان عمر بن الخطاب - ﷺ - يقول: «إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: أله حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني».

فالعمل يمنح الإنسان الشرف والرفعة، ويسوده في قومه، والكسل يجعله وضيعاً محتاجاً إلى غيره.

2 – الحرمان من الصحة الجسمية:

بالعمل والحركة يزداد الجسم نشاطاً، وتزداد العضلات قوة، في حين أن الكسول لا يتمتع بكمال الصحة الجسمية، لأن جسمه خامل، وقد أثبت العلم أن لكل إنسان طاقة يستطيع أن يؤدي في نطاقها ما يُكلَّف به من أعمال تأدية حسنة، والدين الإسلامي دين العدل، فهو كما يطلب من الإنسان العمل والسعي، فهو في الوقت ذاته لا يكلفه بما يزيد عن طاقته حتى لا يدركه التعب.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينم حتى يعلم ما يقرأ**»(١).

3 - الحرمان من حب الله:

الكسول الذي لا يؤدي ما عليه من واجبات، ولا يعمل عملًا نافعاً، يُحرَم منزلة رفيعة ينالها النشيط العامل وهي حب الله له، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العبد المحترف**»(٢).

4 - فقدان الصبر وشكوى الزمان:

الكسل يدفع صاحبه إلى استعجال الأمور، ويقضي عند الكسول على قوة الإحتمال والصبر، والصبر مفتاح الخير، وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، قال ﷺ: «**إن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً**»(٣).

والكسول الذي لا يصبر على الأمور، يكون متبرماً، ودائم الشكو، متخذاً الزمان ستاراً يداري به كسله، وقد قال حكيم: «من دلائل العجز والكسل كثرة الإحالة على المقادير».

---

(١) مسلم. (٢) الطبراني. (٣) أحمد.

5 - الحرمان من رغد العيش والسعة:

الكسل يورث الفقر، ويحرم صاحبه من الحياة الفاضلة، والرزق الواسع، لأن الكسول يتأخر عن السعي لطلب الرزق، ويتكاسل عن الإجتهاد في السعي، ويرضى بالقليل تلبية نداء كسله، وفي ذلك يقول الشاعر:

كأن التواني أنكح العجز بنته
وساق إليها حين زوجها مهراً

فراشاً وطيئاً ثم قال لها اتكي
فإنكما لا بد أن تلدا الفقرا

6 - فقر الأمة وتأخرها:

إذا اتصف أبناء أمة من الأمم بالكسل، فإن ذلك سيكون سبباً في تأخرها بين الأمم، لأن العمل والإنتاج هما عصب الحياة، ولهذا السبب نبه الإسلام على منزلة العامل، وأمر بإعطائه أجره كاملًا وبسرعة، فقال رسول الله ﷺ: «**أعطوا الأجير حقه** (أجره) **قبل أن يجف عرقه**»[١].

(١) أبو يعلى والطبراني.

فالأمة القوية المنتجة تسعى إلى السيطرة على غيرها من الأمم الضعيفة الفقيرة لذلك فلا سبيل إلى رفعة الأمة وقوتها إلا بالعمل والتخلي عن الكسل.

7 - عذاب النار:

الذي يتكاسل عن العمل وطلب الرزق ويركن إلى التواكل والمسألة يأتي يوم القيامة في وجهه نكتة سوداء، قال النبي ﷺ عندما جاءه رجل يطلب صدقة: «**هذا** (العمل والسعي) **خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة**»(١).

وأما التكاسل عن الصلاة فإن صاحبه لا يرى في قبره إلا الظلمة والوحشة، وما إن يستقر في قبره حتى يأتيه ثعبان رهيب مخيف يُسمَّى: «الشجاع الأقرع» يضربه ضربة يهوي بها إلى باطن الأرض، ثم يكون مصير المتكاسل بعد ذلك الويل والجحيم في جهنم، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥].

أما من تكاسل عن التقرب إلى الله تعالى بذكره،

---

(١) أبو داود.

فسوف يحشره الله تعالى أعمى، يتخبط في ظلمات الجحيم لا يدري من أين يأتيه العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].



علاج الكسل

- البحث عن عمل شريف:

يروى أن رجلًا أتى إلى رسول الله ﷺ يسأله أن يعطيه شيئاً، فسأله ﷺ: «**أما في بيتك شيء؟**». فقال الرجل: في بيتي رداء نلبس بعضه ونفترش بعضه، وإناء نشرب فيه.

فأراد الرسول ﷺ أن يعلمه، فأمره أن يُحضر هذه الأشياء، ثم باعها النبي ﷺ بدرهمين، وأعطاهما له، وأمره أن يشتري بأحدهما طعاماً، وبالآخر قدوماً يحتطب به، ثم يأتي بعد خمسة عشر يوماً ليخبر الرسول ﷺ بنتيجة عمله، فعل الرجل ما أمره به

الرسول، فربح ربحاً كثيراً، وعندما عاد إليه بعد خمسة عشر يوماً وأخبره بما كسب، قال له النبي ﷺ: «**هذا خير من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة**»(١).

- التعود على التبكير:

لا بد من التعود على الإستيقاظ مبكراً، ليتخلى الجسم عن الخمول، ويتعود النشاط والحركة، وينال بركة اليوم، ويستفيد بساعات أطول منه.

وقد أوصانا الرسول ﷺ بذلك، ونبَّه إلى أهمية البكور، فقال ﷺ: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**»(٢).

- الإستعانة بالله:

الإستعانة بالله تعالى لها فضل كبير في التغلب على التعب والمشقة والكسل، والتزود بالقوة والنشاط، ومن يطلب العون من الله يجده اتجاهه يعينه ويقويه، وقد أوصانا رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**»(٣).

- معاتبة النفس على التقصير:

المسلم الصالح يسعى لتغيير ما به من عيوب، فإذا

---

(١) أبو داود. (٢) الخرائطي. (٣) مسلم.

تكاسل عن واجب - مثلًا -، يلوم نفسه ويعاتبها حتى يصلحها، ولا يعود لذلك.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم مثلًا أعلى في لوم النفس على التقصير، فقد أذنب أبو لبابة - رضي الله عنه - ذنباً، فدخل إلى إحدى أعمدة المسجد، وربط نفسه بحبل، وأقسم ألا يفك رباطه حتى يغفر الله تعالى له، وبقي أبو لبابة على هذا الحال، حتى جاء رسول الله ﷺ وأطلقه.

- اتخاذ القدوة والمثل الأعلى:

فالذي يرغب في التحلي بالنشاط والهمة والتخلي عن الكسل والخمول، عليه أن يضع أمام عينيه قدوةً ومثلًا أعلى يحتذي به، وسيرة المسلمين العَطِرة مليئة بهذه النماذج.

فرسولنا الكريم ﷺ كان مثال الجد والنشاط، فكان يعمل ولا يركن أبداً إلى البطالة والكسل، فمنذ صغره كان يعمل راعياً للغنم، قال ﷺ: **«كنت أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة»**(١).

---

(١) البخاري.

ثم عمل بالتجارة مع عمه أبي طالب، ثم عمل تاجراً في مال السيدة خديجة - رضي الله عنها -.

ولم يتكاسل ﷺ عن المساعدة في أعمال البيت، فكان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويعلف فرسه.

ولم يتكاسل ﷺ على علو شأنه وسيادته أن يشارك أصحابه الأعمال، فقد شاركهم حفر الخندق بيده الكريمة، وكان يحمل الأحجار على كاهله.

ولنا أسوة حسنة في أنبياء الله جميعاً، فلم يتكاسل واحد منهم عن عمل يضمن له رزقاً، فبرغم مسؤولية النبوة وتبليغ الرسالة كان لكل نبي عمل يقوم به ويرتزق منه رزقاً حلالاً.

فكان آدم - عليه السلام - حارثاً.

وكان إدريس - عليه السلام - خياطاً.

وكان زكريا - عليه السلام - نجاراً.

وكان داود - عليه السلام - حداداً يصنع الدروع.

قال تعالى في حقه: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ

لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وقد خصَّه رسول الله ﷺ بالذكر فقال: «**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»(١).

وذلك لأنه كان صاحب ملك وأموال وفيرة ومع ذلك لم يتكاسل، ولكنه عمل عملًا يرتزق منه ولم يركن إلى الكسل.

وكان نوح - عليه السلام - رائداً في صناعة السفن، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧].

وعمل إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - بحرفة البناء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وعمل يوسف - عليه السلام - وزيراً لاقتصاد مصر، فحماها وأهلها من المجاعة، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

---

(١) البخاري.



وصايا

١ - عوِّد نفسك الإستيقاظ مبكراً حتى تستفيد بالوقت وتنال بركة اليوم. قال ﷺ: «**باركوا الغدوَّ في طلب الرزق، فإنه بركة ونجاح**»[١].

٢ - اسع على رزقك، فهو لا يأتيك وأنت جالس، واعلم أن الكسل عن السعي مفتاح الفقر.

قال الإمام علي - رضي الله عنه -: «التواني مفتاح البؤس، وبالعجز والكسل تولدت الفاقة، ونتجت الهلكة، ومَن لم يطلب لم يجد».

٣ - لا تتخذ الكسول صديقاً ترافقه، لأنه سيؤثر عليك بكسله، فالمرء على دين خليله، وقد قال حكيم: «احذر مجالسة العاجز (الكسول) فإنه إن سكن إلى عاجز أعداه من عجزه، وأمده من جزعه، وعوَّده قلة الصبر، ونسَّاه ما في العواقب».

٤ - عوِّد نفسك الحركة والنشاط، فقد قال أحد الحكماء: «الحركة بركة، والتواني هلكة، والكسل شؤم».

---

(١) البزار والطبراني.

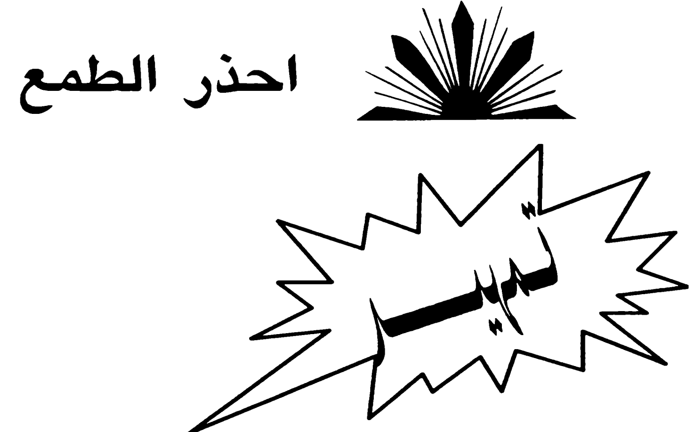
٥ - احرص على أن يكون لك عمل شريف يضمن لك الرفعة، ويعفك عن مسألة الناس، ويجعلك سيداً. فقد سأل معاوية - رضي الله عنه - سعيد بن العاص رضي الله عنه - - عن المروءة فقال: «العفة والحرفة». وقال حكيم: «يا فتيات احترفوا، فإني لا آمن عليكن أن تحتاجوا إلى الأمراء».

٦ - لا تنشغل بالعمل عن الفرائض، فقد قال حكيم: «لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض من العمل فتضيع أمر آخرتك، ولا تنال من الدنيا إلا ما كتب الله لك».

٧ - اعلم أن الكسل آفة تبعد الإنسان عن كل خير، وقد قال لقمان يوصي ابنه: «يا بني إياك والكسل والعجز والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤدِ حقّاً، وإذا ضجرت لم تصبر ما حق»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

احذر الطمع



الطمع صفة ذميمة، ورذيلة قبيحة، يتصف بها كثير من الناس.

ولذا قال رسول الله ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»(١).

والإنسان الطماع مكروه من الناس، بعيد عن قلوبهم، فلا يلقى منهم إلا الكراهية والبغض، وإذا كانت النفس البشرية فطرت على الطمع وحب المال، فيجب أن يعالج المسلم نفسه من ذلك، ويحذر من تلك الرذيلة، ويتخلق بخلق القناعة والرضا، ويعلم أن في ذلك الفوز في الدنيا والآخرة.

---

(١) متفق عليه.

قال النبي ﷺ: **«طوبى لمن هُدي للإسلام، وكان عيشه كفافاً، وقنع به»**(١).

وقال ﷺ: **«أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه»**(٢).

***



تعريف الطمع

الطمع في اللغة:

يقال: طَمِعَ في الشيء، وطمع به طمعاً: حَرِصَ عليه ورجاه. ويقال: رجل طامع، وطمعٌ، وطَمُعٌ من قوم طامعين، وأطمعه غيره، والمَطمَعُ: ما طُمِعَ فيه. والمَطمعة: ما طُمِعَ من أجله، ويقال: طَمُعَ الرجل فلانٌ (بضم الميم) أي: صار كثير الطمع. والطمع ضد اليأس.

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، إنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم». والطمع أيضاً: رِزقُ الجند، وأطماع الجند: أرزاقهم.

---

(١) الترمذي. (٢) مسلم.

الطمع شرعاً:

هو أن يجشع الإنسان في شيء، ويحرص على أخذه، ويشتهيه ويرغب فيه رغبة شديدة، وهو كذلك التطلع إلى ما في أيدي الآخرين، وهو عكس الرضا والقناعة.

وطمع الإنسان في أعمال الخير والزيادة منها طمع محمود وليس مذموماً، فالمؤمن لا يشبع من خير قط، فقد يطمع الإنسان مثلًا في غفران الله عز وجل، ويطمع في دخول الجنة، فلا يعد هذا طمعاً مذموماً، إنما هو طمع محمود مستحب، ورد في العديد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤].

ومنه قول النبي ﷺ: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**»[(١)].

---

(١) مسلم.

فالطمع هنا محمود، فلا قناعة في فعل الخير والأعمال الصالحة.

فالمسلم يحرص دائماً على المزيد من ذلك، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فليس هذا هو الطمع الذي نحن بصدده، وإنما الطمع الذي نحذره هو الحرص والجشع وحب المال والسلطة وغير ذلك من متاع الدنيا الذي يتكالب عليه الطالبون، ويلهث وراءه الطمَّاعون.



أشكال الطمع

الطمع المذموم له أشكال عديدة وأقسام متنوعة، كلها تندرج تحت الطمع في متاع الدنيا الزائل، فمنه الطمع في المال، والطمع في السلطة إلى غير ذلك، وأحقره الطمع في الأكل أو كثرة الطعام.

1 – طمع المال:

وأبرز مثال على الطمع في المال: قارون، فقد كان قارون من بني إسرائيل، وقد رزقه الله مالًا كثيراً،

ففرح به، وطمع في المزيد، وبخل به على قومه، وأخذ يتباهى ويفتخر به على الناس، فخسف الله به وبداره وبماله الأرض، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين.

ومن الطمع في المال: ما يحكى أن رجلاً من قبيلة زبيد، جاء إلى مكة، وكان معه بضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وطمع في المال، فحبس عن الرجل حقه، طمعاً فيه، فصعد الزبيدي جبل أبي قبيس، ونادى بأشعار يصف فيها ظلامته، رافعاً صوته حتى سمع أهل مكة بذلك، فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب، حتى أخذ للزبيدي حقه، وكان هذا قبل النبوة في أيام الجاهلية.

2 – طمع السلطة:

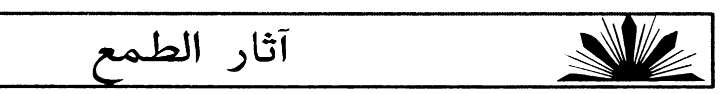
ومن أنواع الطمع أيضاً الطمع في السلطة أو الجاه، والأمثلة في ذلك أكثر من أن تحصى، فقيصر الروم منعه عن الدخول في الإسلام طمعه في الملك، فبعد أن تبين له الحق، وعلم صدق نبوة النبي ﷺ كاد أن يسلم، ولكنه وجد أن من حوله يتآمرون، فادعى أنه كان يختبر قوة تمسكهم بدينهم ولن يسلم، وذلك خوفاً وطمعاً في الملك والسلطان.

3 – طمع في النساء:

ومن أمثلة الطمع في النساء طمع أشعب، فقد كان أشعب طماعاً في كل شيء، في المال، والأكل، والجاه، والنساء أيضاً، ولذلك قيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما رأيت عروساً بالمدينة تزف إلا كنست بيتي ورششته طمعاً أن تزف إليَّ.

4 – الطمع في الأكل:

وأخس أنواع الطمع، الطمع في الأكل، وفي نهم الطعام والإستحواذ عليه، والأدب العربي مليء بأخبار الطفيليين، الذين اشتهر عنهم الطمع في الطعام، ولعل أشعب كان شيخهم في ذلك، ومما يحكى عن طمعه أنه اجتمع عليه يوماً غلمان المدينة يعاتبونه، وكان مزَّاحاً ظريفاً، فآذوه فقال لهم: إن في دار بني فلان عرساً، فانطلقوا إليه فهو أنفع لكم، فانطلقوا وتركوه، فلما مضوا قال: لعل الذي قلتُ من ذلك حق! فمضى في أثرهم نحو الموضع، فلم يجد شيئاً، فظفر به الغلمان هناك، فآذوه.



آثار الطمع

للطمع آثار وخيمة في الدنيا، وعواقب سيئة في الآخرة، فيهلك صاحبه في الدنيا والآخرة.

١ - من أشد مساوئ الطمع في الدنيا أنه يُلْهي صاحبه عن ذكر الله تعالى، وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران.

ولذلك قال عيسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: في المال ثلاث آفات: أن يأخذه من غير حلِّه. فقيل له: إن أخذه من حله؟ فقال: يضعه في غير حقه. فقيل: إن وضعه في حقه؟ قال: يشغله إصلاحه عن الله تعالى. وهذا هو الداء العضال، فإن أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكير في جلاله، وذلك يستدعي قلباً فارغاً. أما الطماع فيمسي ويصبح متفكراً في خصومة الناس من أجل المال وزيادة الأرباح، وكيفية حفظ المال... إلخ فقلبه مشغول بذلك كله.

٢ - ومن عواقب الطمع في الدنيا أنه يُعمي الإنسان عن إدراك الحق، حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون، ويتخيل المستحيل من فرط طمعه وحرصه.

قال الشعبي: «حُكي أن رجلًا صاد طائراً، فقال له الطائر: ما تريد أن تصنع بي؟ قال الرجل: أذبحك وآكلك. فقال الطائر: والله ما أشفي من قرم (شهوة أكل اللحم)، ولا أُشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث

خصال هي خير لك من أكلي، أما واحدة: فأعلمك وأنا في يدك، وأما الثانية: فإذا صرت على الشجرة، وأما الثالثة: فإذا صرت على الجبل. فقال: هات الأولى. فقال: لا تلهفن على ما فاتك. فتركه فلما صار الطائر على الشجرة، قال الرجل: هات الثانية. فقال: لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون. ثم طار. فصار على الجبل، وقال له: يا شقي! لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالاً. فعضَّ الرجل على شفتيه وتلهف وقال: هات الثالثة. فقال: أنت قد نسيت اثنتين، فكيف أخبرك بالثالثة؟ ألم أقل لك: لا تلهفن على ما فاتك، ولا تصدقن بما لا يكون أنه يكون. إن لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً، فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالاً؟ ثم طار وذهب. فهذا الرجل قد عماه طمعه حتى خيل إليه أن المستحيل يمكن أن يكون واقعاً.

٣ - ومن عواقب الطمع في الدنيا ذهاب العلم، فقد قال عبد الله بن سلام لكعب: ما يذهب العلوم من قلوب العلماء إذا وعوها وعقلوها؟ قال كعب: الطمع وشره النفس وطلب الحوائج. وقال رجل للفضيل بن

عياض: فسِّر لي قول كعب. فقال الفضيل: يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه، وأما الشره فشره النفس في هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء، ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة، فإذا قضاها خرم أنفك وقادك حيث شاء، واستمكن منك وخضعت له، فمن حبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به، وعدته إذا مرض، ولم تسلم عليه لله عز وجل، ولم تعده لله، فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيراً لك.

٤ - ومن آثار الطمع أنه يورث صاحبه الذل والهوان، فالإنسان الطماع لا يخلو من ذل، ويفوته بسبب طمعه عز النفس، فإن من كثر طمعه وحرصه، كثرت حاجته إلى الناس، فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق، ويلزمه المداهنة، وذلك يهلك دينه. ففي القناعة الحرية والعز، وفي الطمع الذل والإحتياج، ولذلك قيل: استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره.

٥ - ومن عواقب الطمع الوخيمة أنه يحمل

صاحبه على استعجال الرزق، فيطلبه بطرق غير مشروعة، فيقع في الحرام، ولولا طمعه لجاءه رزقه كاملًا من طريق حلال.

ومثال ذلك أن الإمام علي - كرم الله وجهه - دخل المسجد يوماً، وقال لرجل كان واقفاً على باب المسجد: أمسك علي بغلتي. فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة، فخرج علي - رضي الله عنه - وفي يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على إمساكه بغلته، فوجد البغلة واقفة بغير لجام، فركبها ومضى، ودفع لغلامه درهمين يشتري بهما لجاماً، فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين، فقال علي - رضي الله عنه -: إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر، ولا يزداد على ما قُدِّر له. أرأيت كيف أن طمع الرجل جعله يسلك طريق الحرام ويترك الحلال؟! ولم يأخذ من الرزق إلا ما قدره الله له، وبدلًا من أن يأخذه ويأخذ أجراً، أخذه وأخذ معه الذنب والوزر، وكل ذلك بسبب طمعه وقلة صبره.

٦ - وقد يكون الطمع سبباً في الحرمان، فيكون الحرمان عاقبة من عواقب الطمع ومساوئه، ومثال ذلك

ما حكي من أنه حدثت مجاعة في إحدى البلاد، كان فيها رجل غني، احتكر القمح في المخازن، حتى يعلو سعره، فلما اشتد الغلاء، ونفد القمح من البلاد، وبلغ ثمنه مبلغاً فاحشاً، فتح مخازنه، وفي ظنه أنه صار أغنى أهل الأرض، فوجد أن السوس قد أكل القمح كله، ولم يبق منه إلا النخالة، فكان طمعه سبب حرمانه وسوء حاله.

٧ - وقد يكون هلاك الإنسان من آثار طمعه، ونتيجة جشعه، يروى أن عيسى - عليه السلام - كان معه صاحب له في رحلة، فأصابهما الجوع وقد انتهيا إلى قرية، فقال عيسى - عليه السلام - لصاحبه: انطلق فاطلب لنا طعاماً من هذه القرية. وقام عيسى - عليه السلام - يصلي، فجاء الرجل بثلاثة أرغفة، فأكل رغيفاً وهو في الطريق، فلما انتهى عيسى - عليه السلام - من الصلاة، قال للرجل: أين الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: ما كانا إلا رغيفين. فسارا معاً حتى مرا بظباء ترعى، فدعا عيسى - عليه السلام - ظبياً منها فذبحه، ثم أكلا منه، ثم قال عيسى للظبي: قم بإذن الله. فقام الظبي، فقال الرجل: سبحان الله! فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ قال: ما كانا إلا رغيفين. فمضيا، فمرا بنهر عظيم، فأخذ

عيسى بيده فمشى به على الماء حتى جاوزه، فقال الرجل: سبحان الله! فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ قال: ما كانا إلا اثنين. فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة، وإذا قريب منها ثلاثة أحجار كبيرة من ذهب، فقال عيسى - عليه السلام -: واحد لي، وواحد لك، وواحد لصاحب الرغيف الثالث. فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث. فقال عيسى - عليه السلام -: هي لك كلها. وفارقه وانصرف، فأقام الرجل بجانبها ليس معه ما يحملها عليه، فمر به ثلاثة رجال، فقتلوه وأخذوا الذهب، فقال اثنان منهم للثالث: انطلق إلى القرية فائتنا بطعام، فذهب فقال أحدهما للآخر: نقتل هذا إذا جاء ونقتسم بيننا. فقال الآخر: نعم. وقال الذي ذهب في نفسه: أجعل في الطعام سمّاً فأقتلهما وآخذ الذهب وحدي، ففعل، فلما عاد بالطعام المسموم قتلاه، ثم أكلا فماتا، وعاد عيسى - عليه السلام - فرأى الجميع صرعى بجانب الذهب، فأشار إليهم وإلى الذهب، وقال لمن معه من الحواريين: هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها.

٨ - وعواقب الطمع في الآخرة أشد بكثير من عواقب الدنيا، فالطماع في الدنيا يخسر الناس، ويقل

رزقه بطمعه، ويُحرم العلم، وغير ذلك، ولكنه في الآخرة يخسر الخسران المبين، فيحرم جنة الله ونعيمه الخالد، ويكون مصيره النار، وبئس المصير.

وقد أكد الله عز وجل أن الطماع في متاع الدنيا يوفيه الله حقه فيها، ولكن ليس له في الآخرة إلا النار.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

ويكون ندم الطماع الذي كنز المال وبخل به وأخذه من الحلال والحرام شديداً، ولكنه ندم حيث لا ينفع الندم، فليس لهم هناك إلا النار، فلا شفيع لهم ولا حميم.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].



التحذير من الطمع

حذر الإسلام من الطمع وعواقبه، وجاء ذلك التحذير في كثير من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء والصالحين.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

فمن اختار ماله وولده على ما عند الله، فقد خسر خسراناً مبيناً.

كما حذر الله سبحانه من الطمع في الدنيا، فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

والطمع المذموم من سمات الكفار والمشركين، فعندما تحدث الله عز وجل عن طمع المشركين، قال سبحانه: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ [المدثر: ١٤، ١٥].

فهذه الآيات نزلت في المشرك الوليد بن المغيرة ومن على شاكلته من المشركين الذين أنعم عليهم بنعمة المال والولد، ولكنهم كفروا بالله وكذبوا نبيه، وساقهم طمعهم إلى تمني زيادة هذه النعم رغم كفرهم وعنادهم، فأنى لهم ذلك؟ فشكر النعمة والقناعة هو السبيل إلى الزيادة، أما الطمع مع الكفر والجحود فهو سبيل الفقر وسلب النعمة، وهذا ما حدث مع الوليد وغيره من الكافرين، قال تعالى عن كفار قريش: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج: ٣٨].

فهذا طمع مذموم لأنه في غير محله، فهم رغم كفرهم وشركهم بالله عز وجل يطمعون في الجنة، بل إنهم يعتقدون أن ذلك حق لهم دون غيرهم من البشر، فإذا هم لم يدخلوا الجنة فمن يدخلها؟ أيدخلها العبيد ويبعد عنها السادة والأشراف؟ كان هذا هو ظنهم، وذلك هو طمعهم، ولكن هيهات هيهات، فالجنة لمن آمن بالله ورسوله ولو كان عبداً حبشياً، والنار لمن كفر وعصى ولو كان سيداً قرشيّاً.

وقد ذم الله سبحانه الطمع وجعله مرضاً من

أمراض القلب، وسمة من سمات المنافقين أصحاب القلوب المريضة، قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

فهذا هو طمع المنافقين، أصحاب القلوب المريضة، الذين كانوا أشد على الإسلام من اليهود والمشركين، لأنهم آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، وأظهروا المودة وأخفوا العداوة والبغضاء، فحاربوا الإسلام من الداخل، فحذر الله سبحانه وتعالى منهم، ومن أطماعهم وأمراض قلوبهم، التي لا تمنعهم من الطمع في أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن -، فأي مرض أشد من ذلك يجب التحذير منه والبعد عنه؟!

وكما حذر الله عز وجل من الطمع، فقد حذر منه النبي ﷺ في العديد من الأحاديث، فمن ذلك قوله ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأكثر إفساداً فيها من حب المال والشرف في دين الرجل المسلم**»(١).

وقال ﷺ: «**هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا** (أي: تصدق بماله في وجوه الخير)

---

(١) الترمذي.

وقليل ما هم»[١].

وقال ﷺ: «**أهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ له** (أي: لا عقل له يمنعه مما لا ينبغي)، **الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلًا ولا مالًا، والخائن الذي لا يخفى له طمع** (أي: لا يظهر طمعه)، **وإن دقَّ إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك**، (وذكر البخل والكذب)، **والشنظير الفحاش** (السيء الخلق)»[٢].

وقال ﷺ: «**بئس العبد عبدٌ طَمَعٌ يقوده، بئس العبد عبدٌ هوى يضله، بئس العبد عبدٌ رَغَبٌ يذله**»[٣].

وقال ﷺ لأصحابه يوماً: «**استعيذوا بالله من طمع يهدي إلى طبع، ومن طمع يهدي إلى غير مطمع، ومن طمع حيث لا طمع**»[٤].

وقد جاء التحذير من الطمع في أقوال الصحابة - رضي الله عنهم - ومن تبعهم من السلف الصالح رحمهم الله.

فمن ذلك قول الحسن: والله ما أعز الدراهم أحد إلا أذله الله.

---

(١) أحمد.

(٢) مسلم.

(٣) الترمذي.

(٤) أحمد.

وقيل: إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال: من أحبكما فهو عبدي حقّاً.

وقال سميط بن عجلان: إن الدراهم والدنانير أزمة المنافقين، يقادون بها إلى النار.

وقال عمر - رضي الله عنه -: إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، إنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم.

وقال ابن مسعود: ما من يوم إلا وملك ينادي: يا ابن آدم! قليل يكفيك خير من كثير يطغيك.

وقال سعد ابن أبي وقاص - رضي الله عنه -: يا بني! إذا طلبت الغنى، فاطلبه في القناعة فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس، فإنك لم تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه.

وقال علي ابن أبي طالب - كرم الله وجهه -: أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.

وقال أيضاً: ما الخمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الطمع.

وقال فيلسوف: العبيد ثلاثة: عبد رق، وعبد شهوة، وعبد طمع.

وقال بعض الحكماء: من أراد أن يعيش حرّاً أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع.

ودخل الحسن البصري مكة، فرأى رجلًا من أولاد فاطمة (أحفادها) قد أسند ظهره إلى الكعبة وهو يعظ الناس، فسأله الحسن: ما ملاك الدين؟ فقال: الورع. فقال الحسن: وما فساده؟ فقال: الطمع. فقال له الحسن: مثلك يصلح أن يعظ الناس.

وقال الشاعر يحذر من الطمع:

لا تخضعن لمخلوقٍ على طمع
فإن ذلك وهن منك في الدين

واسترزق الله مما في خزائنه
فإن ذلك بين الكاف والنون

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

فالطمع قد يكون سبباً في فساد الدين.



علاج الطمع

قدم الإسلام منهجاً متكاملًا لعلاج الطمع، ووصفاً طبيّاً لو سار عليه الإنسان لعالج نفسه من هذا المرض، ومن أهم أدوية علاج الطمع أن يتخلق المسلم بخلق القناعة والرضا، ويكون ذلك عندما يتيقن المسلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه لن يكون له من الدنيا إلا ما قدر الله له، وأنه محاسب على كل ما يحصل عليه من الدنيا، محاسب على ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ كما يعلم أنه ليس مما يجمع إلا قدر بسيط.

قال رسول الله ﷺ: «**يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟**»(١).

ومن علاج الطمع أن يكون حب المال غير ساكن في القلب، وفي ذلك قال العلاء بن زياد: تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة، فقلت: أعوذ بالله من شَرِّكِ. فقالت: إن شئت أن يعيذك الله مني فابغض

---

(١) مسلم.

الدرهم والدينار، وذلك لأن الدراهم والدنانير هم الدنيا كلها، إذ يتوصل بها إلى جميع أصنافها، فمن صبر عن الدينار والدرهم صبر عن الدنيا، وشفي من الطمع. وعلى المسلم أن يعلم أن الطمع في المال وكثرته ليس هو الطريق إلى الغنى، إنما القناعة هي الغنى، ولذا قال ﷺ: **«ليس الغني عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس»**(١).

وقال ﷺ: **«إن روح القدس نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»**(٢).

ومن أهم الطرق إلى التخلق بالقناعة وعلاج مرض الطمع أن لا يسأل الإنسان الناس شيئاً، ولا يطمع فيما في أيديهم.

ولذا قال ﷺ: **«كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس، وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك، تكن مؤمناً»**(٣).

ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع فيما رواه أبو

---

(١) متفق عليه. (٢) الحاكم. (٣) ابن ماجه.

أيوب الأنصاري أن أعرابياً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! عظني وأوجز. فقال: «**إذا صليت فصلِّ صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه، وأجمِعِ اليأس عما في أيدي الناس**»(١).

ومن الوسائل التي تعين الإنسان على علاج الطمع:

- قصر الأمل في الدنيا.

- والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه، فإن شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق.

بل ينبغي أن يكون المسلم واثقاً بوعد الله تعالى إذ قال: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦]. وذلك لأن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء.

ومن أهم الأدوية لعلاج الطمع أن ينظر المسلم دائماً إلى من هو دونه في الدنيا، ولا ينظر إلى من هو فوقه، فإن الشيطان أبداً يصرف نظر الإنسان في الدنيا

---

(١) ابن ماجه.

إلى من هو فوقه، فيقول: لِمَ تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس؟ ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول: ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله؟ والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلِمَ تريد أن تتميز عنهم؟

ولذا قال أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه -: أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي (أي: في الدنيا)(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال ﷺ: «**إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضل عليه**»(٢).

ومن علاج الطمع أيضاً أن ينظر المسلم في أحوال الأنبياء والأولياء، وسمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين، ويستمع أحاديثهم، ويأخذ منهم العبرة والعظة والقدوة الحسنة.

ثم يتأمل حياة الطماعين المتكالبين على الدنيا،

---

(١) أحمد. (٢) متفق عليه.

وأراذل الناس والحمقى من الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل، ثم يخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الإقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله، حتى يهون عليه بذلك الصبر على القناعة باليسير، فإنه إن تزين في الملبس والمأكل والمشرب والمركب ففي اليهود من هو أعلى زينة منه، وإن قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء والأولياء، بهذه الأمور جميعاً يقدر المسلم على علاج الطمع واكتساب خلق القناعة والرضا.



وصايا

* لا تجعل حب المال والطمع فيه يلهيك عن ذكر الله عز وجل.

* اعلم أن المال مال الله وأنت خليفة فيه.

* اجعل من المال الذي أعطاه الله لك سبيلًا وطريقاً إلى رضاه.

* احرص على أداء زكاة مالك، وزكاة الفطر، ففي ذلك شفاء لقلبك من الطمع في المال.

* تصدق من مالك كثيراً في السر والعلن، فإنك إذا قدمت مالك أمامك إلى الآخرة سرك اللحاق به.

* املك قلوب الناس وخُذْ حبهم لك بالسخاء، فالكرم طريق سهل إلى حب الناس، كما أن الطمع طريق إلى بعد الناس عنك وكرههم لك.

* أقرض الناس ما وسعك ذلك، واعلم أن أجر القرض أفضل من أجر الصدقة، فالصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر(١).

---

(١) ابن ماجه.

* كن قنوعاً، فالقناعة كنز لا يفنى، ولا يكن همك جمع المال وكنزه.

* تحر الحلال في جمع المال، فلا تجمعه من حرام، أو من طرق غير مشروعة، أو تتعامل فيه بالربا أو غير ذلك، وإنما اجمعه بالعمل الحلال والجد والإجتهاد.

* لا تجعل الطمع يقودك إلى البخل بالمال على أهلك ونفسك، فعالج نفسك، وأنفق على أهلك، واعلم أن ما تنفقه على أهلك تأخذ به من الله أجراً عظيماً.

* لا تسأل الناس الزيادة طالما أن عندك ما يكفيك، وإن كان عليك دين فسارع بقضائه ولا تماطل فيه طالما قدرت على أدائه.

* كُن أميناً على مال غيرك، فلا تطمع فيه، فمن استأمنك كن معه أميناً حافظاً لماله، حريصاً على أدائه له متى طلبه.

* لا تطمع في الأموال العامة، ولا تهدرها، فهي في خدمتك وخدمة غيرك من إخوانك.

❊ اجعل أموالك في خدمة العلم، واستثمرها في عمل مفيد نافع للمسلمين، ولا تتاجر بها فيما يخدع الناس من مشروعات وهمية أو مشاريع ضارة أكثر منها مفيدة.

❊ كُن سمحاً في البيع والشراء، فلا تطمع في سلع غيرك، ولا تكن جشعاً إذا كنت بائعاً.



بحمد الله انتهى الكتاب

فهرس الكتاب